جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في تعامله مع القصص القرآني–سورة يوسف أنموذجا–

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الطالبة:
سهام رحومة

المشرف:
د. عبد القادر شكيمة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
كمال قدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
عبد القادر شكيمة	أستاذ مساعد ـ أ ـ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد ـ أ ـ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1437– 1438هـ/ 2016– 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك نحمدك اللهم على كل حال.

إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى اليد الطاهرة التي أزالت من أمامي أشواك الطريق إلى الذي لا تكفيه الكلمات والشكر والعرفان بالجميل * أبي الغالي * أطال الله في عمره .

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطاني من دمها وروحها وعمرها إلى الغالية التي لا نرى الأمل إلا بعينيها * أمي الحبيبة *حفظها الله .

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله إخوتي وأخواتي ياسين . علي . خليفه . رياض . ساميه . كلثوم . خديجه . هناء . رميصاء .

إلى كتاكيت البيت التي لا تحلوا الحياة إلا بهما: رؤيا ، وتسنيم .

إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف أزهارا بعلمنا: عفاف ،ناديه ، وسمية ، بشرى .إلى الأخت لم تلدها أمي لي أختي عمارية تواتي طليبة.

إلى من كان له الفضل بعد المولى سبحانه في حفظي لكتاب الله أستاذة هاجر، سدّد الله خطاها.

إلى أهل القرآن وطلبة العلم وأخص بالذكر دفعة علوم القرآن وتفسيره دفعة 2017.

إلى من وجهني وصوبني وأفادني بنقده البنّاء أستاذي المشرف شكيمة عبد القادر.

إلى الشموع التي ذابت في كبرياء لتضيء لنا دروب العلم أساتذتنا الأفاضل وأخص بالذكر: أبو زياد خريف زتون، وأبو ثابت غريسي محمد الصالح.

إلى الذي اجتهد ولم يمل وسهر على راحتنا ولم يكل، إلى أخونا الفاضل رئيس مصلحة التعليم: دية وليد.

إلى الذي وضع عينه وفكره وأنامله منسقا لمذكرتي أخي في الله الطاهر شرقي جزاه الله عني خير الجزاء.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

شكر وعرفان

الحمد لله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

الشكر كل الشكر لله سبحانه وتعالى على منّه وتوفيقه لي في إنجاز هذه الدراسة وعرفانا مني بالجميل لأستاذي شكيمة عبد القادر وله مني خالص الشكر والتقدير وفائق الاحترام لإشرافه على هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل الأستاذة في معهد العلوم الإسلامية بجامعة حمة لخضر .

ولا يفوتني أن اشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

والحمد لله أولا وآخرا.

✓ **سهام.**

ملخص البحث

هذه الدراسة كانت بعنوان " مسلك الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في تعامله مع القصص القرآني" سورة يوسف . أنموذجا .

ولقد تناولت فيها التعريف بالعلامة محمد الطاهر ابن عاشور _ رحمه الله _ وكتابة التحرير والتنوير والقصة القرآنية، وقمت بشرح وجيز للمقدمة السابعة من كتابه التحرير والتنوير التي كان عنوانها "قصص القرآن" حيث كانت عناية الإمام محمد الطاهر ابن عاشور بالقصة القرآنية بتحليل أغراضها وفوائدها والحكمة من تكرارها، وبيان مسلكه في قصة يوسف عليه السلام.وانتهت الدراسة بخاتمة كانت من أهم نتائجها: أن الطاهر بن عاشور قد اعتنى بالقصة القرآنية اعتناءً فائقا بالشرح والتحليل، واستنباطه لبعض الأحكام الفقهية من القصص القرآني وقد تميز وانفرد بها عن كثير من المفسرين.

Research Summary

Summary: this study was entitled "Imam Sheik Mohamed Tahir Ben Achour with Quranic stories" Surat Yusuf model.

I have addressed the definition of mark Mohamed Tahar Ben Achour _ Allah's mercy _ editorial writing and enlightenment and Quranic story, you briefly explain to the front seven of the writing and editing of enlightenment which was entitled qisas"

Where was carefully forward Mohamed Taher Ibn Ashour to the Quranic story analysis purposes and their benefits and wisdom of replication, and Yusuf story spool statement it.

.

مقـــدمـــة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا لإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله أما بعد:

القصص القرآن كلية كبرى من كليات القرآن الكريم، ومحور من أعظم المحاور، اتخذها القرآن الكريم وسيلة من وسائله لتحقيق مقصده الأسمى وهي الدعوة إلى كتاب الله، ويرى أهل العلم أن من أعظم مظاهر إعجاز هو ذلك الترابط العجيب بين الآيات والكلمات الذي هو من أحسن القصص فقد قص الله علينا في كتابه أحسن القصص وأبدعه طريقة في السرد، وأعجبه أسلوبا وأصدقه أخبارا وعليه صبغة من الإيجاز والاختصار، تحار أمامها العقول هذا الذي حرك أقلام المفسرين خاصة عند المتأخرين لبعد الناس عن الدين، فاتخذ أغلبهم المنهج الإصلاحي لتكون شبيهة بالعهد الأول في الدعوة والرجوع إلى الدين الحنيف، فأبى خريج الزيتونة إلا أن يرفع أقلامه ويكتب في هذا الباب حيث تناول تفسير القصة القرآنية من الناحية الوصفية وكان ذلك في المقدمة السابعة، من تفسيره التحرير والتنوير، وسلطت الضوء على قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي تعتبر تثبيتا لفؤاد النبي ﷺ والقصة القرآنية بدورها من أبرز وسائل الدعوة والتوجيه والجدال والتربية والإعجاز وعليه كان موضوع مذكرتي بعنوان: " **مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في تعامله مع القصص القرآني–سورة يوسف أنموذجا–**"

أولاً: الإشكالية:

وسعيا مني للم شتات عناصر هذا البحث طرحت الإشكالية الآتية :

- إلى أي مدى وفق الشيخ الطاهر بن عاشور في تعامله مع القصص القرآني ؟

وتندرج تحتها إشكالات فرعية :

- ما هو تعريف القصة القرآنية عند ابن عاشور ؟ وماهي أغراضها وخصائصها ؟
- كيف تعامل الشيخ الطاهر ابن عاشور في سرد القصة القرآنية وما يتعلق بها ؟
- ما هي الإضافات التي أضافها الشيخ الطاهر ابن عاشور في سرد القصة القرآنية ؟

ثانيا: أهمية البحث :

- خدمة كتاب الله ﷻ ومكانة القصة القرآنية فيه .

- أهمية قصة سيدنا يوسف عليه السلام في أنها من أحسن القصص وتميزها عن باقي قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، وأنها وردت في القرآن الكريم في سورة واحدة، وفي سرد واحد، متصل الحلقات من البداية إلى النهاية ، تعطي صورة من الإعجاز البياني لكتاب الله.

ثالثا: أهداف الدراسة .

- الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو بيان جهود العلامة الطاهر ابن عاشور في تعامله مع القصص القرآني وخاصة قصة يوسف عليه السلام.
- التعريف بعالم من علماء المغرب العربي والذي كانت له بصمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه.
- الوقوف على حقيقة ومفهوم القصة القرآنية عند ابن عاشور .
- بيان العظة والعبرة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام.
- تثبيت فؤاد النبي ﷺ وغرس القيم الأخلاقية لدى الناس.

رابعا :أسباب اختيار الموضوع :

- الاهتمام بالدراسات الإسلامية المعاصرة وأعلامها
- بيان المكانة العلمية للشيخ الطاهر ابن عاشور.
- اختيار لهذه القصة على وجه الخصوص ، لأنها جاءت في سرد واحد واشملت على عدة مواضيع مختلفة.

خامسا: الدراسات السابقة .

وجدت القصة القرآنية عدة دراسات سابقة ، إلا أنها لم تشف صدور المتعطشين لهذا الفن فلهذا لم نجد من يورد القصة بالتفصيل ، إلا أنهم تناولوها من عدة جوانب، كالجانب الأدبي والعقدي ...الخ ولم يكن هناك كتاب شامل لدراسة القصص القرآني، إلا أنها تبقى لفتات ذكرها بعض العلماء كل واحد على حد علمه، وكل ما يتعمق فيها من التحليل والبيان والتفصيل في حدود النص القرآني ومن هذه الكتب على وجه الإجمال: القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه لعبد الكريم الخطيب، وقصص الأنبياء لابن كثير ، والتصوير الفني لسيد قطب، واتجاهات التأليف في القصص القرآني لمحمد علي الدقور ... الخ .

فعلى الرغم من كثرة الدراسات حول القصص القرآني وتفسير الإمام محمد الطاهر ابن عاشور سواء في بيان منهجه في كتابه أو الدارسات البيانية... الخ ، إلا أنه في حد علمي لا توجد دراسات أخرى تناولت موضوعي إلا دراسة واحده :وهي مسلك الشيخ الطاهر في تعامله مع القصص القرآني قصة أدم أنموذجا . الطالب إسماعيل بكاكره .

سادسا :خطة البحث .:

وقد سلكت في إعداد هذا البحث وفق الخطوات التالية :

مقدمة وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع، والإشكالية المراد الإجابة عليها في ثنايا البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث، وأهم الخطوات التي سرت عليها كتالي.

فصل تمهيدي قسمته إلى ثلا ث المباحث في المبحث الأول بينت فيه سيرة ذاتية العلامة ابن عاشور ، ثم وضحت في المبحث الثاني تعريف بتفسر التحرير والتنوير وفي المبحث الثالث بيان القصة القرآنية وأهم عناصرها ، أما الفصل الثاني ذكرت في المبحث الأول بينت فيه أغراض القصة القرآنية وخصائصها وفوائد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور والمبحث الثاني ذكرت فيه تفسير سورة يوسف الصديق عليه السلام، والمبحث الثالث بينت فيه مسلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي سار عليه أثناء تحليله وشرحه القصة الصديق عليه السلام ، ثم ذكرت خاتمه بينت فيها أهم نتائج الذي توصلت إليها و وبعض التوصيات .

سابعا: المنهج المعتمد في البحث.

إن مسلك المفسر في تناوله للقصة القرآنية، يقتضي اتباع المنهج الاستقرائي، وعلى هذا خصت الدراسة حول المنهج الاسقرائي التحليلي، الذي سلكه الشيخ الطاهر بن عاشور من خلال تعامله مع القصة القرآنية وما يتعلق بها من بيان وبلاغة وإعجاز .

ثامنا: المصادر والمراجع :ويعتمد جمعي لمادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث على عدة مصادر ومراجع نذكر منها:

كتب التفسير: تفسير المنير وهبه لزحيلي . وتفسير أحكام القرآن القرطبي . تفسير الكلام الرحمان تفسير السعدي .

كتب القصص القرآن : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه عبد الكريم خطيب . مع القصص السابقين عبد الفتاح الخالدي . القصص القرآني الفضل عباس .

المعاجم وأهمها :مقايس اللغة لابن فارس . ولسان العرب لابن منظور. مفردات غريب القرآن لراغب الأصفهاني .

كتب الأعلام: تراجم المؤلفين التونسين محمود محفوظ . والأعلام لزكلي .

تاسعا :صعوبات البحث .

ما من بحث إلا تعتريه كثير من الصعوبات التي تعيق الباحث أثناء دراسته لموضوع ما، فكانت من الصعوبات التي واجهتني أثناء تحضيري البحث هي دقه العبارة التي تظهر من كلام الشيخ بن عاشور _ رحمة الله _ مما يتعسر فهما وتحليلها .

عاشرا :طريقتي في كتابة هاذا البحث.

1_ توثيق النصوص المأخوذة من المصادر والمراجع الأصلية عند الانتهاء من النقل .

2 – اعتمدت على كتابة الآيات القرآنية بالمصحف الإلكتروني المطبوع بمجمع الملك فهد، وهذا من أجل ضبط النصوص القرآنية .

3_ تخريج الأحاديث من مضانها في الغالب .

4 _ أخرجت الأبيات الشعرية من الدواوين المعروفة والمشهورة .

5 _قمت بالترجمة لبعض الأعلام الواردين في البحث، واكتفيت بمصدر واحد فحسب عند الترجمة ، واعتمدت في ذلك على كتاب التراجم والسير .

6_بالنسبة لتوثيق المعلومات سرت على طريقة التزمتها في هذا البحث، حيث أذكر اسم المؤلَف ثم المؤلِف ثم المعلومات المتعلقة بالمصدر أو المرجع ، إن تكرر الاقتباس منه عبرت بلفظ المرجع نفسه أو المصدر نفسه.

7- الفهارس : بدأت بفهرس الآيات القرآنية ، ثم فهرس الأحاديث ، ثم فهرس تراجم الأعلام ، ثم فهرس المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

وفي ختام أسأل الله أن يوفقني بالوصول إلى مبتغاي، وأن يكتب لي الإخلاص فيه إنه على كل شيء قدير .

الفصل الأول : التعريف بالشيخ الطاهر ابن عاشور وكتابه التحرير والتنوير والتعريف القصة القرآنية.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد الطاهر ابن عاشور .

المبحث الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

المبحث الثالث: ماهية القصة.

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد الطاهر ابن عاشور .

كان جامع الزيتونة مصنعا لرجال أفذاذ قادوا حياة شعوبهم قبل أن يقودوا حياتهم، في وقت اضطربت فيه معالم الحياة فكانوا منزلة للهدى وعلامات لطريق السداد وكانت حاله السياسية صعبة كما سيأتي تحليلها في هذا المبحث .

المطلب الأول: عصر الإمام محمد الطاهر ابن عاشور .

الفرع الأول: الحالة السياسية .

منذ سنة [1877م _1878 م] تأكدت المطامح الأوربية اتجاه المغرب الإسلامي، ... فكان السباق إلى احتلال البلاد التونسية بين إيطاليا وفرنسا، وفي أواخر أفريل وأوائل ماي 1881م اخترق جنود فرنسا الحدود، وفرضوا على الباي معاهدة حماية في 12ماي، قضت على استقلال الدولة بصفة رسمية .[1]

وامتد الاستعمار الفرنسي المباشر إلى سنة 1956م لتأتي مرحلة البورقيبي، وهي مرحلة الاستقلال التي خرجت فيها الدولة من معاناة الاستعمار لتبدأ المعاناة من آثار بما خلفه من مآسي ودمار.[2]

الفرع الثاني : الحالة الاجتماعية .

تتبين حالة المجتمع التونسي أثناء فترة الاحتلال من خلال الحركة الديموغرافية، التي شهدت انفجارا حقيقيا لسكان تونس، وانقلاب أوضاع الحياة بتضاعف سكان الأرياف على حساب المساحات الصالحة للاستغلال، كما استحفل الفقر بين عامة الشعب، خاصة بعد تأثر الصناعة الحرفية بالمنتجات الأوربية، باستثناء الفترة الممتدة بين[1930م _1956م]فإن الأهالي كانوا يأخذون نصيبا مما توفره الحضارة الصناعية[3].

---

[1] . تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، محمد الهادي الشريف، دار سراس للنشر، تونس 1993م، ط 3، ص 97.

[2] . ينظر: تفسير ابن عاشور التحير والتنوير دراسة منهجيه نقدية، جمال محمود أبو حسان، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة وأصول الدين، بالجامعة الأردنية، 1411هـ . 1991م، إشراف د. فضل حسن عباس ص 1 .

[3] . ينظر: الشيخ تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، محمد الهادي الشريف، ص 104 .108.

يقول الشيخ الفاضل بن عاشور[1] : في معرض حديثه عن إنشاء الجمعية الخلدونية[2] " استقر الاستعمار، وتوطد، واستولى المستعمرون على أجهزة الحكم والإدارة كافة، فلم يبق لأبناء البلاد أميرهم وحقريهم من الأمر شيء واشتد ساعد الجالية الفرنسية، وتضخم عددها ونفذ أمرها وعلت كلماتها".[3]

الفرع الثالث: الحالة الفكرية .

لم تكن الحركة الفكرية بمعزل عن سابقتيها السياسية والاجتماعية، فقد صار فهم المسلم للإسلام منحرفا، بعيدا عن روح الإسلام الخالص وقد شمل الانحراف جوانب عدة:

العقيدة والعبادة والتشريع، ولم يبق من دينه غير شكليات ليست من الإسلام في شتى [4]، وليس الحديث مقتصرا على الدين الإسلامي فحسب، بل غيره كعلوم العصر حيث يقول الدكتور بلقاسم الغالي " أما علوم العصر فقد خلت منها المعاهد العلمية فتحجرت العقول، وتبلدت الأفهام، وانتشرت الأوهام والخرافات، ورغم مظاهر الجهل والركود إلا أن رجال العلم لم يبقوا مكتوفي الأيدي، بل عملوا على تغيير الأوضاع من إنشاء المدارس الإصلاحية التي عملت على إصلاح المجتمع على كافة الأصعدة.[5]

---

[1] . هو محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور، أديب وخطيب، مشارك في علوم القرآن، مولده ووفاته بتونس 1327. 1390هـ . 1909. 1970م، تخرج بالمعهد الزيتونة، من أبرز شيوخه أبوه محمد الطاهر، ومن مؤلفاته المطبوعة" التفسير ورجاله " ينظر تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ ج 3 ص 310، وأعلام تونسيون، حمادي الساحلي ص 354. 349.

[2] - هي جمعية تعنى بالتاريخ والتراث المحلي والجزائري أسسها فوزي مصمودي في 13_نوفبر 1997واعتمدت رسميا في 3جوان 1998 تهدف الجمعية إحياء التراث المحلي والوطني في الجزائر .. ينظر : الشيخ تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، محمد الهادي الشريف ص 109.

[3] . تفسير بن عاشور التحرير والتنوير، دراسة منهجية ونقدية، جمال محمود أبو حسان ص 1.

[4] . من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي، دار بن حزم، بيروت، لبنان، سنة 1417هـ . 1996م، ط1ص 17.

[5]. المرجع نفسه ص 17 .

المطلب الثاني: الحياة الشخصية الإمام محمد الطاهر ابن عاشور .

الشيخ الطاهر ابن عاشور من العلماء الذين كانت لهم مسيرة لامعة بالإصلاح والتجـــديد للفـكر الإسلامي مما أدى إلى ترك بصمة خالده في تفسيره، وهذا مما يدل على علمه الغزير وتميزه عن علماء عصره.

الفرع الأول : نسبته ومولده .

أ_ نسبته: الشيخ الإمام: محـمد الطاهر بن عاشور بن محـمد بن محـمد الطاهر بن محـمد بن محـمد الشاذلي بن عبد القادر. وأمه: فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز محمد بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور[1].

ب_ مولده: بشرت العائلة العاشورية بولادة محمد الطاهر بن عاشور بالمرسى، وهي ضاحية جميلة من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط...وكانت ولادته [1296هـ _ 1879م] بقصر جده لأمه الشيخ محمد العزيز بوعتور [2].

الفرع الثاني : أسرته ونشأته :

أ. أسرته: إن أسرة آل عاشور يعود أصلها الأول إلى محمد بن عاشور، الذي ولد بمدينة سلا بالمغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فارا بدينة من القهر والتنصير وقد توفي 1110م[3].

وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء، الذين تعلموا بجامع الزيتونة، تلك المؤسسة العلمية الدينية العريقة، التي كانت منارة العلم والهداية في الشمال الإفريقي، كان منهم محمد الطاهر بن عاشور، وابنه الذي مات في حياته الفاضل بن عاشور[4].

ب_ نشأته : حظي إمامنا بنشأ اتسمت بغزارة العلم، حيث أتقن حفظ القرآن بالكتاب، اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة سنة [1310هـ-1892م]وقرأ على مجموعه من أعلامه إلى أن حرز شهادة التطويع سنة[1317هـ-1896م]، وشارك في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية وكان موضوع الدرس في البيع الخيار واجتازه بنجاح سنة [1320هـ -1899م]وبعد أربع سنوات نجح

---

[1]- شيخ الإسلام، الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب . تونس 2008 ص 149.

[2]- من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم، محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، للدكتور بلقاسم الغالي ،ص 37.

[3]- المرجع نفسة ص 35.

[4]- تراجم المؤلفين التونسين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1884 ،ط 1ج 3 ص 304 305.

في مناظرة التدريس من المرتبة الأولى، سمي نائبا عن الدولة لدى مناظرة جامع الزيتونة بعد تدريسه في المدرسة الصادقية بأربع سنوات فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمة على التعليم بحسب ما سمح به الحال، وحرر لائحة في إصلاح التعليم، وعرضها على الحكومة فوقع تنفيد شيء منها واكتمل الاعتماد عليها سنة [1329هـ – 1908م]بعدما أصبح الإمام بن عاشور عضو في لجنة تنقيح برامج التعليم، ثم توالت عليه المناصب إلى أن سمي عميدا للجامعة الزيتونية في أفريل 1956 [1].

الفرع الثالث : عقيدته ومذهبه:

أ_ عقيدته: لا ريب أن ابن عاشور أشعري العقيدة على وجه العموم، ويتضح ذلك جليا من طريقتين

الطريقة الأولى: تصريحه بذلك .

الطريقة الثانية :تقرير لمذهب الأشاعرة وترجحيه له عند عرض المذاهب في المسألة ومع التصريح الجلي من الطاهر ابن عاشور بانتسابه إلى مذهب الأشاعرة فهو يخالف الأشاعرة أحيانا في تقرير بعض المسائل فيأخذ بمذهب السلف أو مذهب المعتزلة .أقول ومما يدل ما أورده العلامة محمد الطاهر ابن عاشور عند ذكر الأقوال الواردة في تفسير قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: 5] فقال جمهور الأشاعرة وفي مقدمتهم إمام الحرمين: إن معي الاستواء القهر والغلبة والاستيلاء[2].

ب _ مذهبه الفقهي :نشأ ابن عاشور في بيئة علمية يعتنق معظم أهلها المذهب المالكي وكان من أوائل المتون التي حفظها وهو صغير قبل أن يلتحق بجامع الزيتونة متن ابن عاشور في الفقه المالكي وسار ابن عاشور على تعلم هذا المذهب الذي سار في بلده والتفقه فيه حتى صار مفتيا فيه، ومع هذا كله لم يكن متعصبا لمذهبه المالكي بل كان ينظر في الأقوال كلها، وينقد ويرجح ويختار ما كان موافقا لدليل وخالف المذهب المالكي ومن هنا فهو يعتبر من كبار المجتهدين في الفتوى ومستقل الرأي أحيانا، ناقدا الآراء الفقهاء محقق من كبار الحقيقين لمختلف المسائل العلمية معرض عن التقليد[3]

---

[1] . مجله المنهل عدد 449 الربيعان 1407 هـ " الشيخ محمد الطاهر بن عاشور " محمد عبد المنعم خفاجي، نقلا عن رسالة الإمام محمد بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، لمحمد بن سعد بن محمد القرني، " بجامعه أم القرى .ينظر : من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم، محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، للدكتور بلقاسم الغالي ص 35.

[2] . تراجم التونسيين، محمد محفوظ ج 3 ص 305.

[3] - ينظر : التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة، إعداد الطالب محمد حسين، اشراف عمار سياسي، رسالة دكتورا بجامعة الجزائر ص 37.

الفرع الرابع : وفاته.

توفي الشيخ الطاهر بن عاشور ــرحمه الله ــ في يوم الأحد 13 رجب 1393هـ الموافق 12 أوت 1973م،[1] شغلها كلها في الاستفادة والإفادة، فاتسعت معارفه وتبحر في العلوم، مع ما منحه الله من قلم سيّال عذب أتاح له أن ينشر معارفه وأفكاره في مؤلفاته_ رحمه الله رحمه واسعه ــ وأجزل له المثوبة والعطاء جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

المطلب الثالث: الحياة العلمية للإمام محمد الطاهر ابن عاشور.

الفرع الأول: شيوخه وتلاميذه.

أولا: شيوخه.

تلقى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله العلم بفروعه المختلفة على عدد كبير من الأساتذة الأجلاء، والعلماء الفضلاء، ومن أشهرهم:

1_ أحمد جمال الدين[2] : قرأ عليه بن عاشور رحمه الله "فطر الندى " في النحو و" الدردير في الفقه المالكي.

2_ الشيخ سالم بوحاجب[3] : وقد قرأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله عليه كتاب "صحيح البخاري "بشرح القسطلاني "والموطأ " بشرح الزرقاني قراءة تحقيق

3_الشيخ الصالح الشريف[4] : وقرأ عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله كتاب " شرح الشيخ خالد الأزهري "وقطر الندى "لابن هشام "، والمكودي على الخلاصة ".

---

[1]- من أعلام الزيتونة، شيخ الجامع الأعظم، محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي ص 68.

[2] - هو أحمد جمال الدين: ــ الفقيه ــ ولد بيني خيار، وتلقى العلم بجامع الزيتونة. ودرس به. وكان من أبرز تلامذته الشيخ رحمه الله، ومن مؤلفاته " بلوغ الأدب في مآثر الشيخ الذهب " " والسراج في معرفه التاج "وغير، ولم يعرف بضبط تاريخ وفاته سنة 1323هـ . تراجم التونسيين، محمد محفوظ ج 2 ص 50.

[3] - هو سالم بن عمر بوحاجب البتلي. ولد عام [1244هـ] بنبلة من قرى الساحل الشمالي. تعلم بجامع الزيتونة، وصار أستاذا فيه، وهو فقيه محقق لغوي أديب شاعر، [ت 1342 هـ _1924 م] تراجم التونسيين ج 2 ص 70_ 80.

[4] - الشيخ صالح محمد الشريف ولد عام 1285 هـ، وأصل أسرته من بجاية في الجزائر وتخرج على كوكبه من العلماء، أسرته من بجاية في الجزائر، أمثال عمر بن الشيخ سالم بوحاجب وغيرهما [ت 1338هـ_ 1921م]ينظر تراجم الأعلام، الفاضل بن عاشور ص 212.

4_الشيخ عمر بن الشيخ[1]: أخذ عليه الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله " المواقف "للإيجي، وتفسير البيضاوي.

5_الشيخ محمد الخياري المقرئ[2]: قرأ عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله القرآن كاملا في مسجد أبي حديد، ويقع المسجد مجاورا لبيتهم بمدينة تونس.

6_ الشيخ محمد النخلي[3]: قرأ عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله "قطر الندى "والمكودي على خلاصة "ومقدمة الإعراب في النحو" ومختصر السعد في البلاغة " والتهذيب في المنطق " وتخريج به في أصول الفقه فقرأ علية "شرح الحطاب على الورقات " والتنقيح "للقرافي والفقه المالكي " مياره على" المرشد "وكفاية الطالب على رسالة ابن أبي زيد القيرواني[4]

ثانيا: تلاميذه.

تولى العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله التدريس في جامع الزيتونة مدة طويلة من الزمان، وكذا في المدرسة الصادقية، ومن هنا تتلمذ على الشيخ بن عاشور رحمه الله عدد كبير، وجم غفير وصار هؤلاء، فيما بعد من أبرز أعلام النهضة الدينية في تونس والجزائر:

---

(1) - الشيخ عمر بن الشيخ: هو عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن قاسم المعروف بابن الشيخ أو [سيدي عمر] ولد سنة 1239هـ، بقربه يقال لها [الماثلين] من عمل بنزرت، تلقى العلم من كبار الأساتذة، مثل الشيخ محمد بن مصطفى البارودي، والشيخ محمد الحضار، والشيخ بن عاشور وغيرهم، وكان مدرسا بجامع الزيتونة منذ سنة 1266هـ، [ت 1329] ينظر: تراجم الأعلام، محمد الفاضل بن عاشور ، دار تونس ،ص 188.

(2) - الشيخ محمد الخياري المقرئ: هو أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار، ولد عام 1247 هـ، مدرس في جامع الزيتونة من مؤلفاته مجموع الفتاوى، وبغيه المشتاق في مسائل الاستحقاق، وفقه أبي هريره، تحرير المقال، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تحق : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية،ط1.1424هـ 2003 م،ص 22.

(3) - الشيخ محمد النخلي: هو من أعلام الزيتونة ولد سنه [1286هـ . 1869م] يشار إليه بالرسوخ في العلم، من شيوخه عمر بن الشيخ، كان ناقد خبيرا وأستاذا كبيرا له ألفيه في الجغرافيا، توفي سنه [1342هـ .1924][ينظر : تراجم المؤلفين التونسين، محمد محفوظ، ج 5 ص 26. 27.وشجرة النور الزكية، محمد بن محمد مخلوف ج1ص605.

(4) -. ينظر شيخ الإسلام الإمام الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، محمد الحبيب بن خوجة ص 155. 156بتصرف.

1– أبناء الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: كان من أبرز المتخرجين على يديه ابنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور [1]. كما تخرج على يديه ابنه الثاني الأستاذ عبد المالك بن عاشور.

2 – عبد الحميد بن باديس: هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الجزائري ولد[1307هـ ـ 1889]، وكان رئيسا لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر منذ قيامها سنة 1931م إلى وفاته، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وقد اضطهد وأوذي، لكن ذلك لم يمنعه من الاستمرار في جهاده، وأنشأت جمعية العلماء المسلمين في عهده، وكثيرا من المدارس، وله مجالس كثيرة جمعها عمار الطالبي " بعنوان " ابن باديس ،حياته وآثاره " [ت 1359].[2]

3 – محمد الصادق الشطي: هو محمد الصادق الشطي. ولد سنة [1312هـ]، وهو فقيه من فضلاء تونس، قضى ربع قرن مدرسًا بجامع الزيتونة [ت 1377هـ]، آية في الذكاء مع صلاح ووقار، من مؤلفاته: المعجم في النحو والصرف الأربعون الميدانية في الحديث [3].

4 – محمد بن خليفة المدني: هو محمد بن خليفة بن الحسن بن الحاج عمر بن خلف الله المشهور بالمدني، ولد سنة 1307هـ، من مؤلفاته: تفسير سورة الواقعة وتفسير سورة الفاتحة، وغيرها [4].

5 – أبو الحسن بن شعبان: عام 1315هـ، وهو أديب شاعر، ذو شعر مناسب، فيه رقة وعذوبة. وكان لا يمل بمطالعة والاستزادة من طلب العلم، وظل بعد تخرجه بحضر دروس ابن عاشور في الموطأ [ت 1383هـ].وهناك الكثير من تلاميذ الشيخ ابن عاشور . رحمه الله . مما يصعب حصرهم في هذا المقام .

---

[1]- محمد الفاضل بن عاشور: ولد عام [1327هـ 1909م] وولى التدريس بجامع الزيتونة، والقضاء، ثم عميدا بالكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، ومفتيا للجمهور التونسية، من مؤلفاته تراجم الأعلام، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، التفسير ورجاله [ت 1970م]ينظر الأعلام للزركلي ج 1 ص 6.

[2]- الأعلام للزركلي، دار العلم للملاين . بيروت . لبنان ط 5 أيار 1980م.

[3]- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ ، ج 3. ص 196.

[4]- المرجع نفسه ج 4ص 291 .296 بتصرف.

الفرع الثاني: مؤلفاته.

ساهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ رحمه الله ــ في إثراء المكتبة الإسلامية، في مختلف نواحي العلم والمعرفة، وهذه المؤلفات تتميز بالدقة العلمية مما تدل على المكانة العلمية والرفيعة للشيخ وعلى تبحره في العلوم، وقد بلغت هذه المؤلفات حوالي أربعين كتابا، منها المطبوع والمخطوط.

1. من أهم المؤلفات المطبوعة :

ــ تفسير الشيخ التحرير والتنوير وافتتحه بتمهيد وعشر مقدمات في علوم القرآن وأصول التفسير .

أولا_ العلوم الإسلامية .

1. مقاصد الشريعة الإسلامية .
2. النظام الاجتماعي في الإسلام .
3. أليس الصبح بقريب .
4. الوقف وآثار في الإسلام .
5. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
6. النظر الفسيح عند المضايق الأنظار في الجامع الصحيح .

ثانيا_ اللغة العربية :

1. أصول الإنشاء والخطابة .
2. شرح قصيدة الأعمش الأكبر في مدح المعلق .
3. موجز البلاغة[1].

أهم المؤلفات المخطوطة :

أولا. العلوم الإسلامية .

1. أصول التقدم في الإسلام.
2. أمالي على دلائل الإعجاز.
3. آراء اجتهادية .

[1]- ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج 3، ص 305 304.

ثانيا . اللغة العربية وآدابها .

1. شرح ديوان الحماسة .
2. شرح معلقة امرئ القيس .
3. كتاب تاريخ العرب .
4. تحقيق وتعليق على كتاب خلفا الأحمر المعروف بمقدمة النحو[1].

الفرع الثالث : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

لقد كان العلامة محمد الطاهر بن عاشور _ رحمه الله_ عالما بارزا من أعلام الفكر العربي الإسلامي، وممن تبوأ مكانة رفيعة، وقدم عظيمة، أثرى المكتبة الإسلامية والساحة الفكرية بمؤلفاته القيمة العظيمة، ومن هنا توالت إصلاحات التنويه والإشادة بأعماله العظيمة وجهوده القيمة في حياته وبعد وفاته وبعض أقوال العلماء عليه:

مما قال عنه الشيخ محمد البشير الابراهيمي: " الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي، وتفرد بالتوسع والتجديد لفروع من العلم ضيقها المنهاج الزيتوني وأبلاها الركود الذهني، وأنزلتها الاعتبارات التقليدية دون منزلتها بمراحل: فأفاض عليها الإمام من روحه وأسلوبه حياة وجدة، وأشاع فيها مائية ورونقا، حتى استرجعت بعض قيمتها في النفوس ومنزلتها في الاعتبار".[2]

وقال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين: " شب الأستاذ على ذكاء فائق، وألمعية وقادة فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم، ولما كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال، كنا نحضر دروس بعض الأساتذة جنبا لجنب...وكنت أرى شدة حرصه على العلم ودقة نظر متجلتين في صفاء الذوق وصحة الاطلاع في آداب اللغة،...فكنت أرى لسانا لهجته الصدق، وسريرة نقية من كل خاطر

[1]- ينظر :محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، وإياد خالد الطباع، ص 95 _ 155.

[2]- آثار الإمام الإبراهيمي، جمع وقديم نجله _دار الغرب الإسلامي _ ط 1 1997ج 3 ص 549.

سيء، وهمة طماحة إلى المعالي، وجدا في العمل لا يمسه كلل، ومحافظة على وجبات الدين وآدابه، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحه آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم".[1]

وقال عنه الداعية الشيخ محمد الغزالي ــرحمه الله ــ"هو رجل القرآن الكريم ،إمام الثقافة الإسلامية المعاصرة،...الرجل بدأ يتكلم عن اللغة ويتكلم بها أدبيا.... أقرأ كلماته في التحرير والتنوير فأستغرب لأنه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفة، وحرر الجملة العربية من بعض الخبات الذي أصابها في أيام انحدر الأدب في عصور الأخيرة... فابن عاشور لا يمثل صورة من الدم واللحم، وإنما يمثل تراثا أدبيا علميا عقائديا أخلاقيا .[2]

وتلك هي شخصية الإمام محمد الطاهر بن عاشور ــرحمه الله ــ وهي من الشخصيات العظيمة التي أبلت بلاء حسنًا في خدمة الإسلام والمسلمين وإنارة الفكر والعقل الإسلامي وقدمت جهودا عظيمة في ميادين شتى، وآفاق واسعة لا تُنسى على مدار الزمان.

---

[1]- مجلة الهداية الإسلامية عدد شوال 1351مقال بعنوان [شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس، محمد الخضر حسين ص 118] بتصرف نقلا عن الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير، لمحمد بن سعد بن محمد القرني رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ص 20.

[2]- مجلة الوعي الإسلامي عدد 27 إبريل 1986م السنة الحادية عشر، نقلا عن الإمام محمد الطاهر بن عاشور في توجيه القراءات من خلال تفسير التحرير والتنوير، لمحمد بن سعد بن محمد القرني ص 20.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

تفسير الطاهر بن عاشور من التفاسير المهمة والتي كان له شهرة في العالم الإفريقي والعربي الإسلامي، وهو من أكبر التفاسير القرآنية حجما وأجلها قدرا، وأعظمها نفعا، جمع فيه صاحبهُ عصارة أقوال المتقدمين، وصفوه آراء العلماء المتخصصين ترك أجيالا يشهد له بالعلم والحكمة.

المطلب الأول: وصف الكتاب.

يعرف تفسير ابن عاشور للقرآن الكريم " بالتحرير والتنوير " أو بلفظ " تفسير التحرير والتنوير " كما هو مصدر به وهو موافق للاسم المختصر الذي ارتضاه مؤلفه بعد الاختصار وهو لفظ "التحرير والتنوير من التفسير"[1]، وعنوانه قبل الاختصار " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد "، وهو عنوان ينبئ على التعريف بالكتاب كما يريده صاحبه. وربما كان في العنوان المطول إشارة إلى مقاصد المؤلف في التفسير إلى مضمون الكتاب وأسلوبه، في ثلاث جمل يكمل بعضها بعضا:

فلفظ: "تحرير المعنى السديد " يشير إلى أن الكتاب سلك مسلك التحقيق والتدقيق لا النقل ومجرد الترديد لما يقوله المتقدم عنه.

ولفظ: " تنوير العقل الجديد " يتناول مقصد الكتاب، وهو مقصد إصلاحي يتناسب وضرورات العصر ومقتضياته وإن كان موضوعه ومسلكه تراثيا.

"وتفسير الكتاب المجيد " هو موضوع الكتاب، تفسير للقرآن كله، من فاتحته إلى خاتمته [2].

الفرع الأول : دواعي التأليف ومدة التأليف.

أ_ دواعي التأليف: لم يأت في كلام المؤلف _رحمه الله _ ولا في تراجم حياته ما يشير إلى وجود أحداث معينه أو سبب مباشر كان وراء تأليف ابن عاشور لكتابه الضخم في التفسير.

والأمر كما يبدو جليا من كلامه أمنية كانت تراود الشيخ وتتوق نفسه إليها حينا بعد الحين قال _ رحمه الله _ " كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين،

---

[1]- . التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس [1997].ص 8_9.

[2]- مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، إعداد شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، رساله دكتوراه، نوقشت بجامعه أم القرى [1424 _ 1425] ص 48.

وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق كان يلوح أنموذج من جمعيها من خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسر...[1]ولما تولى القضاء ثم الإفتاء تباعدت هذه الأمنية، وكثرت الصوارف ثم ألقى الله في قلبه العزم على المضي فيما أراد.

يقول_ رحمه الله _ واصفا هذا الحال " وفيما أنا بين إقدم وإحجام، إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضاء، فبقيت متلهفا حين مناص وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان. وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب البيان، ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجوا إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطه الفتيا وأصبحت الهمه مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس هناك عقدت العزم على تحقيق ماكنت أضمرته واستنعت بالله تعالى واستخرت الله وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلطا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط إذا بدلت الوسع من الاجتهاد وتوخيت طرق الصواب "[2].

ب . مده تأليفه : لقد كان تأليف تفسير الكتاب المجيد أكبر أمنية كان يتمناها الشيخ الطاهر بن عاشور كما يقول في مقدمته...، ولكن يتردد كثيرا فتاره يقدم، وتاره يحجم إذا كانت الصوارف تعوقه والتهيب عن الإقدام هذا الأمر العظيم يقف دونه. وبعد تردد والاستخارة والاستعانة بالله عز وجل عقد العزم على الشروع في التفسير وأقدم عليه كما يقول " إقدام الشجاع على واي السباع "وبعد نهاية تأليفه من الكتاب قال هذه الكلمات كأنه يعتذر عما يصيب كتابه من نقص أو قصور فقال في ذلك كلام عظيم " وإن كلام رب الناس حقيقا بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر سعى عل القرطاس وإن قلمي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، إذا قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح ".

وتم ختم كلامه قائلا: " وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف، فكانت مده تأليفه تسعا وثلاثين سنه وسته أشهر، وهي حقبة لم تخل من

---

[1]- التحرير والتنوير ابن عاشور ج 1 ص 5.

[2]- المرجع نفسه ج 1 ص6.

أشغال صارفه ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة ، ومنازع بقريحة شاربة طورا بعد طورا غارقة، وما خلا ذلك من تشتت بال وتطور أحوال، مما لم تخل عن الشكاية منه الأجيال ولا كفران لله فإن نعمه أوفى، وميكاييل فضله علي لا تطفف ولا تكفا، وارجوا منه تعالى لهذا التفسير أن ينجد ويغور، وينفع به الخاصة والجمهور، ويجعلني من الدين يرجون تجارة لن تبور[1]."

وكان تمامه بمنزلي ببلد بالمرسى شرقي مدينة تونس، وكتب محمد الطاهر بن عاشور[2].

المطلب الثاني: منهجه ومصادره في تفسيره.

الفرع الأول :منهجه في تفسير .

لقد سلك ابن عاشور _رحمه الله _ في تفسيره منهجا متميزا ، تضمنت علوما كثيرة، وفوائد جمه وربما كانت عزيزة، وقد بذل في هذا التفسير قصارى جهده، واستجمع قواه العقلية والعلمية، فتجلت فيه مواهبه المتعددة، ومنهجه التربوي، ونظراته الإصلاحية.

ولقد بين _رحمه الله_ في مقدمته الرائعة منهجه بإجمال، ويمكن حصر ذلك فيما يلي:

1_بدأ تفسيره بمقدمات عشر لتكون _ كما يقول _ عونا للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير، وهذه المقدمات تضمنت علما غزيرا.

2_ اهتم ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال.

3_ اهتم ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.

4_لم يغادر سورة إلا وبين أغراضها، وما تشمل عليها بإجمال.

5_اهتم بتحليل الألفاظ، وتبين معاني المفردات بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة.

6 _ عني باستنباط الفوائد وربطها بحياة المسلمين.

7_ حرص على استلهام العبر من القرآن، لتكون سببا للنهوض بالأمة. فهذا مجمل منهجه الذي بينه وسار عليه .[3]

---

[1]- مدخل لتفسير التحرير والتنوير، محمد بن إبراهيم الحمد، ص 35 .

[2]- ينظر : التحرير والتنوير ج 1 ص 8.

[3]-مدخل لتفسير التحرير والتنوير ، محمد بن إبراهيم الحمد ص 36.

الفرع الثاني: مصادره في التفسير.

عُرف الشيخ ابن عاشور ـرحمه الله ـ من خلال سيرته العلمية وآثاره بوسع الاطلاع وتنوعها في شتى الأفانين العلمية، مما تكونت لديه ثروة علمية غزيرة، يتضح ذلك من خلال نشاطه العلمي في التدريس والتأليف والإفتاء، وكتابه التفسير التحرير والتنوير أكبر شاهد على ذلك مما فيه كثر المادة العلمية وهناك بعض المصادر التي اعتمد عليها الشيخ ـرحمه الله ـ في كتابه وهي من دون شك مصادر ثرية، وسنوردها على وجه الإجمال لا على التفصيل.

أولا: كتب التفسير.

لقد نبه الشيخ الطاهر ابن عاشور ـرحمه الله ـ من خلال مقدمة التحرير والتنوير إلى أهم التفاسير التي ينبغي أن تستقى منها معاني كتاب الله.

قال ـرحمه الله ـ " والتفاسير إن كانت كثيرة فإنك لا تجد كثيرا منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لاحظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل، وإن أهم التفاسير والكشاف الزمخشري، والمحرر والوجيز، لابن عطية. ومفتاح الغيب، للرازي، وتفاسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطبري والقزويني والقطب التفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي، على تفسير البيضاوي وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على تفسير بن عطية أشيه منه التفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام. وتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، وكتاب [درة التنزيل] المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب إلى الراغب الأصفهاني. هذه أهم الكتب نبه عليها الشيخ ـرحمه الله.

كتب الحديث النبوي الشريف:

أما المصادر السنية عند ابن عاشور فتأتي في مقدمتها الصحيحين للإمامين البخاري ومسلم، والموطأ للإمام مالك بن أنس، وهذه الثلاثة هي أصح كتب الحديث، بل هي أصح الكتب مزية أخرى، وهي أن مؤلفه الإمام مالك ـرحمه اللهـ إمام المذهب [المالكي] الذي ينتسب إليه الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، وقد جرى عرف علماء المغرب بمزيد العناية بالموطأ، وربما قدموه على الصحيحين ثم تأتي الكتب السنة الأخرى المعروفة كالسنن الأربع للأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، معجم الطبراني، ومسند أحمد، ومسند البزار وغيرها من كتب الحديث.

وأما كتب شروح الحديث: فتح البارئ في شرح صحيح البخاري لابن حجر، وعمدة القارئ للعيني، والمعلم على صحيح مسلم وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمبارك كفوري، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، والمنتقى لأبي الوليد لباجي، والتمهيد لابن عبد البر، وغيرها...

كتب الفقه:

الإمام من أعلام الفقه المبرزين في العصر الحديث، كيف لا وهو شيخ الإسلام في المذهب المالكي فقد نشأ في بيئة مالكية، وكان اعتنائه به كثيرا وقد اعتمد في ترجيحاته على أقوال أئمة المذهب وعلمائهم وأبرز الكتب التي اعتمد عليها هي:

1 _ مالك بن أنس الأصبحي، إمام المذهب، ويكثر النقل عنه بل لا يكاد يذكر مسألة فقهية إلا ويقدم فيها يذكر قول مالك _رحمه الله _ وربما تكتفي اكتفي بنقل قول مالك دون قول غيره.

2_ علماء المذهب المصنفين، وأشهر من ينقل عنه ويكرر: قول الإمام بن رشد، في كتابة بداية المجتهد.

3_كتب التفاسير القرآن الكريم المعنية بذكر الأحكام الفقهية، وأشهر ما نقله عن الإمام القاضي المالكي أبي بكر بن العربي في كتابه أحكام القرآن .

4 _ ما كتبه الإمام الشاطبي في الموافقات مما يتعلق بأصول السنن وطرق الاستدلال.

كتب اللغة :

يأخذ الإمام ابن عاشور _رحمه الله _ أقوال اللغوين من أصول كتب اللغة على رأسها " الكتاب لسيبويه " والكتب الأخرى المشهورة والمعروفة منها:

1_ تهذيب اللغة الأزهري[ت 370 هـ].

2 _ معجم مقايس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا [ت390هـ].

3_ الصحاح للجوهري [ت397هـ].

4 _ مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني [ت 502هـ].

كتب البلاغة والإعجاز:

1_ البيان والتبين: الجاحظ [ت255هـ].

2_ إعجاز القرآن للأبي بكر الباقلاني[ت403هـ].

3_ أساس البلاغة: للزمخشري [ت 538هـ].

كتب علوم القرآن.

1_ أسباب النزول للواحدي [ت 468هـ].

2_ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي [ت 911هـ][1].

الفرع الثالث: القيمة العلمية للتفسير.

يعد تفسير التحرير والتنوير من التفاسير الحديثة عرف بالجد والأصالة، والضبط والإتقان وبيان نكت البلاغة وأسرار اللغة، واستنباط المعاني الأحكام.

قال عنه منيع عبد الحليم محمود: " لقد اهتم ابن عاشور في تفسير ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتم أيضا الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى " نظم الدرر في تناسب الاي والسور "[2].

وقال عنه محمد الحبيب بن الخوجة: " التحرير والتنوير من كتب التفاسير المعاصرة، فهو بالمنهج العلمي ألصق ويطرق السابقين المتقدمين ألحق، لا يقف صاحبه من آثار الأسلاف في هذا الميدان موقف الطاعن أو الذام، ولكن موقف المهذب المستدرك...وإنك إذا تأملت تفسير العلامة الشيخ ابن عاشور ألفيت العقل الراجح، والرأي الصائب وسعة الفكر وقوت البيان مع الحجة القوية والبرهان القاطع، وقد استعد لهذا الدور الجليل بما اكتسبه من علم وخيرة وذوق وملكة في اللغة وآدابها، وبما حصل له من وراء ذلك من مدارك وتصرفات، هي نتيجة طبيعية لممارساته لفنون القول.[3]

---

[1]- منهج الإمام بن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير " نبيل أحمد صقر، الديار المصرية للنشر والتوزيع، ط 1 سنة [1422هـ_ 2001 م]ص16_33،انظر: أيضا، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير "مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، رسالة دكتوراه ص92_129.

[2]- مناهج المفسرين، منبع عبد الحليم محمود دار الكتاب المصري . القاهرة . دار الكتاب اللبناني . بيروت .2000م،ص 336.

[3]- شيخ الإسلام الإمام الأكبر، محمد الطاهر بن عاشور، 316 . 318 بتصرف .

المبحث الثالث: ماهية القصة.

أخذت القصة القرآنية قسطا وافرا، وجزءً كبيرا من آيات الله البينات في القرآن الكريم تتمحور حول القصص والسرد التاريخي تنطلق منه الحكمة والموعظة الحسنة.

المطلب الأول: تعريف القصة القرآنية لغة واصطلاحا .

الفرع الأول: لغة.

قال ابن فارس:

"قص: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول، فكأنه اقتصّ أثره. ومن الباب القصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر، وأما الصدر فهو القص. وهو عندنا قياس الباب، لأنه متساوي العظام، كأن كل عظم منها يتبع للآخر. ومن الباب: قصصت الشعر، وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعره وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها" [1].

قال الفيروز آبادي " القصص مشتق من القص، نقول قص أثره قصا، وقصيصا تتبعه[2].

قال ابن منظور: ويقال: قَصَصْت الشَّيءَ إذا تتبّعْت أَثره شَيئًا بَعْدَ شَيْء ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ﴾ [القصص: 11] أي اتّبعي أَثَره.

والقِصّة: الخبر وهو القَصَصُ، وقَصَّ عَليّ خبره يقُصُّه قَصًّا وقَصَصاً: أورده، والقَصَصُ: الخبر المقْصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصَص بكسر القاف، جمع القِصّة التي تكتبت [3] .

قال الراغب الأصفهاني: قصص: القصّ تتبع الأثر، يقال قصصت أثره والقصص الأثر[4]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الكهف64]

---

[1]- معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر. ط 1399. 19 ج 5 ص11.

[2]- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسه الرسالة، بإشراف نعيم العرقسوسي، ط 8، 2005م، ج 1ص 627..

[3]- لسان العرب، ابن منظور، دار صادره . بيروت . ط3 1414، ج 7ص 73.

[4]-المفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني . تحق سيد كيلاني دار المعرفة . بيروت . لبنان . ص 404.

قال أبو البقاء الكفوي: القصة هي الأمر والخبر وقصصت الحديث رويته على وجه[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:3]

ومن خلال المعاني اللغوي السابقة يتبن أصلها اللغوي مأخوذ من القص الأثر وتتبعه.

كما تأتي بمعنى الشأن والأمر والخبر.

الفرع الثاني: تعريف القصة اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تطرقا الكثير من المفسرين والباحثين لتعريف القصة القرآنية ونذكر منها .

وعرفها عبد الكريم الخطيب: " أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوي الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام".[2]

وعرفها مناع القطان: "هي أخبار عن أحوال الأمم الماضية والسنوات السابقة الحوادث الواقعة وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم وحتى عنهم صورة ناطقة لما كانوا". [3]

ويعرفها السيد محمد العدوي بقوله : " هي كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به الله تعالى رسول محمدا بحوادث الماضي ، بقصد العبرة والهداية ، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم ، أم بين الأمم السابقة أفرادًا وجماعات"[4].

وعرفها ابن عثيمين ــ رحمه الله ــ" الأخبار عن قضيه ذات مراحل يتبع بعضها بعضا"[5].

نستنتج من خلال التعريفات السابقة أن القصة القرآنية هي كلام الأمم السابقة والحوادث الواقعة في عهد النبوة جاءت العبرة والعظة .

---

[1]- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحق : عدنان درويش . محمد المصري . مؤسسة الرسالة . بيروت . 1998م ص 1168.

[2]- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت . لبنان . ط2سنة 1975م ص 39.

[3]. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان دار وهبة ط 7 ص 300.

[4]. معالم القصة القرن الكريم محمود العدوي ، دار العدوي ،عمان الأردن ،ط 1، 1988م ، نقلا عن اتجاهات ومناهج القصص القرآني لمحمد علي الدقور، ص 33.

[5]- . أصول في التفسير، محمد الصالح العثيمين، دار ابن الجوزي، 2008 ص 32.

المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني .

جاءت القصة القرآنية متعددة الأشكال والأنواع بحسب العرض الذي تهدف إليه القصة وقسمها العلماء إلى ثلاث أنواع .

النوع الأول: قصص الأنبياء وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[1].

فالغزوات التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم، مثل غزوة بدر وغزوة أحد لا تدخل في القصص عند ابن عاشور.

[1]- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص 301.وينظر مع قصص السابقين في القرآن الكريم د صلاح الدين الخالدي، دار القلم دمشق ط 5 .1427هـ . 2008م ص 14.

المطلب الثالث: أغراض القصص القرآني.

يقول سيد قطب رحمه الله " سيقت القصة في القرآن لأغراض دينية، وقد تناولت في هذه الأغراض عددا وافيرا من الصعب استقصاؤها، لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأغراض القرآنية فإثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله، وتوحيد الأديان في أساسها والإنذار والتبشير ومظاهر القدرة الإلهية وعاقبة الخير والشر، والعجلة والتريث والصبر والجزع، والشكر والبطر وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلقية قد تناوله القصة. وكانت أداة له وسبيلا إليه".[1]

ثم شرع سيد رحمه الله في ذكر أهم الأغراض التي يراها واضحة البيان في آيات القرآن. التي من خلالها يتضح مقصد القرآن في عرضه القصة وتنوع أسلوبه في ذلك لأجل إثبات الغرض الديني البحث.

1_ كان من أغراض القصة إثبات الوحي والرسالة محمد ﷺ لم يكن كاتبا ولا قارئا ولا عرف أنه يجلس في أحبار اليهود والنصارى، ثم جاءت هذه القصص في القرآن . وبعضها جاء في دقة وإسهاب . كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى فورودها في القرآن اتخذ دليلا على وحي يوحي...والقرآن ينص على الغرض نصا في مقدمات بعض القصص أو بعض القصص أو في ذيولها.

ومما جاء قبل أحداث القصة قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف3]:

ومما جاء بعد أحداث القصة في التعقيب عليها قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: 44 – 46]

ومما جاء في أثناء عرضه للقصة قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: 44]

[1]- التصوير الفني، سيد قطب دار الشروق ط 17 . 1423هـ . 2002م ص 144.

وأيضا إن مجيء القصص القرآني بهذا الأسلوب البلاغي في غاية الدقة .كما هو حال آيات القرآن كلها . دليل على أن هذا القرآن ليس من صناعة محمد -ﷺ- ،إنما هو وحي.

2_وكان من أغراض بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع، وكثرة ما وردت عدد من قصص الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة معروضة بطرق خاصة، لتؤيد هذا الغرض ولما كان هذا الغرض أساسيا في الدعوة فقد تكرر مجيء هذه القصص على هذا النحو مع اختلاف في التعبير، لتثبيت هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس.

ثم ذكر مثالا لذلك من سورة الأنبياء التي جمعت عشر قصص في سوره واحدة، بأسلوب رائع، وبيان ما اختصت به كل على أحداث تناسب المعنى مع اختلاف في التعبير، قصة تناسق للعبرة والموعظة وأخرى لبيان معنى يقتضي توضيحه في ذلك، وأخرى لبيان أن الدين والرسلات واحدة ،وهذا كله تأكيد لهذا الغرض.

3_وكان من أغراض القصة بيان أن الدين كله موحد الأساس فضلا على أنه كله من عند إله واحد ،تبعا لهذا كانت ترد قصص القرآن مجتمعة كذلك مكررة في العقيدة الأساسية وهي الإيمان بالله الواحد على نحو ما جاء في سورة الأعراف. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف: 59]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف: .65]

فهذه التوحيد أساس العقيدة، يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان، وترد قصصهم مجتمعة في هذا السياق لتأكيد ذلك الغرض الخاص [1] ويشهد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: .36]

4_ وكان من غرض القصة القرآنية بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، أن استقبال قومهم لهم متشابه فضلا على أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد _ وتبعا لهذا كانت ترد

[1]- التصوير الفني، سيد قطب ص 146.

قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضا، مكررة في طريقة الدعوة، وسورة هود حافلة بذلك،[1] فهي تبين ما جرى بين نوح ومجادلة قومه له، وفي نفس السورة تجد هود وصالح أيضا ومحاججة أقوامهم، وما وقع بينهم وبين قومهم من دعوة، وإعراض عن الحق فدلت هذه السورة على أن دعوة الأنبياء موحدة وما من نبيء ومعروض للإيذاء والسخرية، والاستهزاء والصّد عن دعوته من قبل أقوامهم فكانت هذه القصص تسليه لنبي ﷺ وأنها جاءت تسري عنه ما كان يلاقيه من قومه وصدهم له، وتثبت أيضا أحقية رسالته وتعطي دليلا على نبوته عليه السلام.

5_ وكان من أغراض القصة بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة، وإبراز هذا الاتصال أشد من الاتصال العام، بين جميع الأديان فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى ثم ذكر آيات شاهد على ذلك.

6_وكان من أغراض القصة القرآنية بيان أن الله ينصر أنبيائه في النهاية ويهلك المكذبين وذلك تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتأثير من يدعوهم إلى الايمان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120] .

7_وكان من أغراض القصة القرآنية تصديق التبشير والتحذير، وعرض نموذج واقع من هذا التصديق ،ذلك عند قول تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: 49 - 50]

8_ وكان من أغراض القصة القرآنية بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه، كقصص سليمان وداود، أيوب ،إبراهيم..الخ فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف شتى، ويكون إبرازها هو الغرض الأول وما سواه يأتي في هذا الموضع عرضا.

9_ وكان من أغراض القصة القرآنية تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم. وإبراز العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى قصة.

10_ ثم قال سيد رحمه الله " وكان للقصة أغراض أخرى متفرقة منها: بيان قدرة الله على الخوارق: كقصة خلق آدم، ومولد عيسى، وقصة إبراهيم الذي آوى إليه بعد أن جعل على كل جبل منهن

[1]- المرجع نفسه ص 149.

جزءا، وقصة الرجل الذي مر على قريه وهي خاويه على عروشها فأحياه الله مئة عام، وهذا الأخير مما تمثله القصص من اثبات البعث، فكان غرض هذه القصة هذه العبر والاتعاظ".

ثم قال ومن أغراضها " بيان عاقبه والصلاح، وعاقبة الشر والفساد، كقصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين، قصص بني إسرائيل بعد عصيانهم، وقصه أصحاب الأخدود.[1]

المطلب الرابع: خصائص القصة القرآنية.

إن القصة القرآنية تقوم على أسس وخصائص فنية رائعة، فهي تحقق الغرض الديني عن طريق جمالها الفني، الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر ووقعها في الوجدان أعمق، مما ذكر الشيخ سليمان محمد علي الدقور في رسالته عدة خصائص القصة القرآنية جمع فيها أقوال العلماء ممن سبقه، وأبرز الأقوال التي ذكرها.

أولا: أن مصدرها وحي من الله.

يقول فضل عباس ــ رحمه الله ــ " مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن الكريم نفسه فهو وحي الله تبارك وتعالى، لذا نجد قصصه هادفة، فهي ذات هدف ديني أخلاقي لا ينفصل عن أهداف العقيدة والشريعة، غير أنها تجمع إلى سمو الهدف ورقي الشكل الفني"[2].

فيا يتعلق بها من حيث موضوعها:

فالأولى: أنها تميزت بالصدق والواقعية: فهي تقوم على حقائق تاريخيه، ووقائع صادقة لا مدخل للكتاب أو الشك أو الخيال القصصي عن قصصه، فقرر في أكثر من موضع أن قصصه ينبئ بالحق، وأن في ذاته قصص حق، وأنه ليس حديثا يفترى، وأنه من وحي الله إلى نبيه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 11]

قال محمود الحجازي :" إن القصص القرآني له ميزات وخصائص لا توجد في غيره إذ هو يعتمد على الحقائق الناصعة التي لا تشوبها شائبة من وهم وزائف أو خيال كاذب ، إنه ينبئ عن بنات

---

[1]- المرجع السابق، التصوير الفني سيد قطب ص 154.

[2]- القصص القرآني إيحاءه ونفحاته، فضل عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن ط 1، 1987ص45.

الواقع بلا تمويه ، ولا تغرير ولا كذب ولا خداع ولكن الإعجاز، والصدق، والحق، والواقع، والجمال سمات الأسلوب القصصي في القرآن الكريم[1].

والثانية: لم يكن هدفها سرد أخبار الماضين أو تسجيل تاريخيهم، وإنما كانت موضوعاتها محددة مرتبطة بالدين والهداية " فالقرآن ليس كتاب تاريخ، وليس من أغراضه رصد حركة أو أحداث التاريخ، أو التاريخ المجرد الأحداث، إذا استثمر بعض هذه الحقائق لتكون مجالا لتحقيق رسالته في هداية البشرية والكشف عن الحقائق المتعلقة بالنفس البشرية الإنسانية، وطبائع النفوس، والمواقف التي تتخذها إزاء ما يوجهها في حياتها من حقائق الدين.

من هنا كان اهتماما واضحا من خلال قصصه، بالأحداث دون الزمان أو المكان أو الأشخاص وهي صفة غالبة على قصصه تؤكد أن الهدف منها شيء آخر غير التاريخ لمجرد الأحداث[2].

الثالثة: وهي متفرقة عن التي قبلها، ذلك أن تركيز القصة على الجانب الوعظ كان صفة بارزة فيه لأجل تحقيق الغرض الديني الأول فيها.

يقول سيد قطب رحمه الله: وهكذا لا يسير سياق القصة إلا وفي ثناياه تلك التوجيهات زيادة على المغزى التي تؤدي إليها بحوادثها، دون توجيهاتها.

وقارئ القصص القرآني يجد هذه التوجيهات منثورة في ثناياها على النحو أو على نحو سواه ولكن يجدها بكثرة ووفرة، تدل على الغرض الأساسي من سياق القصة. وهو الغرض الديني أولا وقبل جميع الأغراض .[3]

---

[1]- القصص القرآني في القرآن الكريم ، محمد محمود الحجازي ، مكبة دار التفسير ، مصر ، ط 1 2003م ، نقلا عن اتجاهات التفسير ومناهجه في القصص القرآني ، للدقور ص 67.

[2]- اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني لسليمان محمد علي الدقور، أطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن نوقشت سنة 1426 هـ _ 2005م بجامعة البرموك ص 68.

[3]- التصوير الفني، لسيد قطب ص 170.

ثانيا: تنوع طريقة العرض:

لقد امتاز القرآن بأسلوبه المعجزة الذي تنوعت فيه طرق البيان، وتعددت فيه أوجه الخطاب وهو في غرض قصصه لم يلتزم نمطا واحدا، بل " تنوعت الطرائق تبعا لتنوع الأغراض واختلف الوسائل البيانية تبعا لتنوع الطرائق.[1]

ثالثا: التكرار في عرض القصة في سورة شتى:

يقول سيد قطب رحمه الله " ويحسب أناسا أن هنالك تكرار في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أن قصة قد تكررت في سورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة العرض في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كانت هناك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار.[2] "

يقول فضل عباس رحمه الله " والتكرار، كما نراه هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحدة فإذا لم يتوافر هذان الشرطان، أي إذا لم يعاد اللفظ نفسه، إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة ولكن كل موضع سياقة الخاص ومعناه الخاص، فإن ذلك لا نسميه تكرار أبدا، وهذا هو التعريف الدقيق للتكرار كما يظهر لنا .[3]

رابعا: إقامة العرض على التصوير:

يقول سيد قطب "إن في التصوير مشاهد القصة ألوان: لون يبدوا في قوة العرض والإحياء، ولون يبدوا في تخيل العواطف والانفعالات، ولون يبدوا في رسم الشخصيات، وليست هذه الألوان منفصلة ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين، فيسمى باسمه، أما الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها يبدوا في مشاهد القصص جميعا. وهنا يوضحه المثال مالا يوضحه المقال .[4]

ثم ذكر مثالا لكل لون قصة من قصص القرآن الكريم ثم قال " فما في القصة من الوجهة الدينية، ولا في الوجهة الفنية زيادة لمستزيد، إلا أن نحاول عقد أخرى فنية بحتة، لا تتصل بالغرض الديني ولا

---

[1]- البيان القصصي، إبراهيم عوضين، دار الأصالة الرياض ط2،سنه 1990ص 114، نقلا عن اتجاها ت التأليف ومناهجه في القصص القرآني للدقور ص66.

[2]- في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة. بيروت، ط 17، سنة 1412ج1ص 55.

[3]- القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته، فضل عباس، ص 71.

[4]- في ظلال القرآن ص 81.

تساوقه، وإنه لحسب قصة دينية وجهتها الدين وحده، أن تبرر هذه انفعالات النفسية، وأن ترسم هذه النماذج وأن تعرضها هذا العرض، وتنسقها ذلك التنسيق.[1]

خامسا: تنوع الأساليب الفنية في عرض القصة:

ذكر الدكتور محمد علي الدقور هذا النوع واقتصر فيه ثلاثة أنواع من الأساليب في عرض القصة وهي:

أولا: تنوع وسائل ربط المشاهدة.

ثانيا: تنوع طريقة المفاجأة.

ثالثا: عدم الالتزام بالسرد القصصي .[2]

[1]-التصوير الفني، لسيد قطب، ص 190. 215.

[2]-اتجاهات التأليف، ومناهجه في القصص القرآني، سليمان علي الدقور، ص 78. 83.

الفصل الثاني: مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور رحمه الله في قصة يوسف الصديق عليه سلام.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القصة القرآنية أغراضها وفوائدها والحكمة من تكرارها عند ابن عاشور.

المبحث الثاني: تعريف سورة سيدنا يوسف عليه السلام .

المبحث الثالث: مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في عرض القصة.

لقد لقيت القصة القرآنية اعتناء من طرف الباحثين المتقدمين وعلى رأسهم الشيخ الطاهر ابن عاشور الذي اهتم بذكرها في المقدمة السابعة من تفسيره التحرير والتنوير، وإليك هاته المباحث التي توضح ذلك.

المبحث الأول: مباحث القصة القرآنية عند الطاهر ابن عاشور.

احتوت القصة القرآنية على عدة أغراض ومميزات وفوائد جمة ذكرها الشيخ ابن عاشور في مقدمته.

المطلب الأول: تعريف القصة القرآنية عند ابن عاشور .

افتتح الإمام الطاهر ابن عاشور الحديث عن التعريف القصة القرآنية فقال: "والقصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم. وجمع القصة قصص بكسر القاف، وأما القصص بفتح القاف فاسم للخبر المقصوص، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال قص على فلان إذا أخبره بخبر".[1]

المطلب الثاني :غرض القصة القرآنية ومميزاتها عند ابن عاشور.

إن القصة القرآنية تقوم على أسس وخصائص فنية رائعة تجعلها أقرب إلى تحقيق هدفها وترسيخ غايتها والوصول إلى مرادها.

انطلق ابن عاشور في بيان أغراض القصة القرآنية قال ابن عاشور ــ رحمه الله ــ امتن الله على رسول ﷺ بقوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: 3]

فعلمنا من قوله أحسن القصص، أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض وتجديد النشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر، لأن غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا، ولوكان من هذا لساوى كثيرا من قصص الأخبار الحسنة الصادقة فما كان جديرا بالتفصيل على كل جنس القصص.[2]

---

[1]. التحرير والتنوير، ابن عاشور، 1ج ص64 .

[2]. المرجع نفسه ج1 ص 65.

ففي الآية تقدم ضمير العظمة على الخبر ليكون ذلك دالا على أن القصص من عند الله، قال ابن عاشور "وتقديم الضمير على الخبر الفعليّ يفيد الاختصاص، أي نحن نقص لا غيرنا ردّا على من يطعن المشركين في القرآن بقولهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: 103]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [الفرقان: 5] وقولهم: يعلمه رجل من أهل اليمامة اسمة الرّحمان [1].

فقصص القرآن عند ابن عاشور ــ رحمه الله ــ لم يأت للمؤانسة وتجديد النشاط وحكاية من سلفنا وما جرى في تلك الفترة من حوادث تحكى قصد الترويح عن النفس كما هو حال كثير من قصص الأدب، فخالف القرآن في ذلك أسلوب القصّاصين الذين يقصون الخبر بكل ما حدث، ولم يكن أيضا سوقه في ذلك حصول الاستغراب في ذكرها، بل كان قصص القرآن غرضه أبعد في ذكرها بل كان قصص القرآن غرضه أبعد من ذلك فتارة ينزل لتثبيت العقائد ورسوخها في القلوب ،وإعلاء كلمة الحق، وتارة لتثبيت فؤاد الرسول ﷺوتارة للاتعاظ وأخذ العبرة ممن سبقنا....، فهذا الذي جعله يتصف بالتفضيل عن جنس كل القصص.

قال رحمه الله في آيتي سورة البقرة وسورة الأعراف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: 35]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: 19].

فحصل من مجموع الآيتين عدة مكارم لآدم، وقد وزعت على عادة القرآن في توزيع أغراض القصص على مواقعها، ليحصل تجديد الفائدة، تنشيطا للسامع، وتفننا في أساليب الحكاية لأن الغرض الأهم من القصص في القرآن العبرة والموعظة.[2] فالذي يظهر من خلال كلام ابن عاشور " تنشيط السامع " هم الصحابة ومن بعدهم.

(1) . المرجع السابق ج 12 ص 203.

(2) . المرجع نفسه ج 8 ص 54.

من هذا كان القصص القرآني أحسن القصص في لفظه ونظمه وأصدقه في معناه وحديثه، ففي هذا المقام يقول ابن عاشور " وجعل هذا القصص أحسن لأن بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح النفوس. وقصص القرآن أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصّه القاصّ في غير القرآن...فإن القصص الواردة في القرآن كان أحسن لأنه واردمن العليم الحكيم، فهو يوحي ما يعلم أنه أحسن نفعا للسّامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب، فيحصل منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذوق مما لا تأتي بمثله عقول البشر" [1].

وقد لاحظ عثمان كلام الشيخ . رحمه الله . في مطلع المقدمة ملحظا دقيقا فقال: أعظم ما في قصص القرآن ما نفاه الأستاذ صورة أو حقّرة ولو لم تحو إلاّ المحقّر عنده فقط لكان كثيرا لكن الأستاذ لم يقنعه ما اقتصر عليه القانعون الذين انحطت همهم عن بلوغ الثريا في نظره وقد استصغر عظيما إلى أفضى به هذه الاستصغار إلى ما يأباه الأدب، قال ولوا كان كذلك لساوى كثير من قصص الأخبار الحسنة الصادقة...الخ فهل تقويتها لقلب الرسول وأتباعه وتهديدها.

للمتعنتين من أعدائه والايقان بأنها من عند الله لا يرفعها عن التسوية بغيرها ويجعلها أعلى منها لفظا ومعنى فرحم الله من قال . " ومن البر ما يكون عقوقا " وذكر أبو الطيب المتنبي في قول

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم[2]

من عجائب هذا البيت علق عليه فريقان مختلفان ذوقا وسعيا أحدهما أهل الزهد والقناعة والآخرة أهل الحرص والطماعة، فالأولون عاملون بها في التجلي بالكاملات النفسية الباقية ذخائرها وابتغاء ما عند الله بالطاعة والجود بالحقوق، والآخرون مولعون بالحطام وابتغاء ما عند الناس من ثناء والإسراف فيما فيه رياء وسمعة وعقوق، هذا وأنى رأيت بعض القانعين بالاقتصار على ما ذكروا من البيان لفائدة قصص القرآن رأيتهم مسوقين بغرض شريف وهو الاقتداء بقوله تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

[1]. المرجع السابق ج 12 ص 203 . 204.

[2]. شرح شعر المتنبي ،إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري من بني سعد بن أبي وقاص أبو القاسم ابن الإفليلي تح: الدكتور مصطفى عليا ،مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط1 ، 1412 هـ - 1992 م ج 1 ص 9.

﴿ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ [يوسف: 111] فقتنعوا بذكرها فلا ينبغي أن ينسبوا إلى مهانة النفس ويوجه إليهم التطاول المدفوع بالغرور والإعجاب، ويتوب الله على من تاب ".[1]

ثم وضح ابن عاشور في هذا قول بتعريف القصة القرآنية التي سبق ذكرها في تعريفات الاصطلاحية وفي هذا القول بين غرض القصة القرآنية " وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشوية بأصحابها فيما لقوة من غضب الله عليهم كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل. إن في تلك القصص لعبر جمة وفوائد للأمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها. من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقدمات تناسبها، لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك توزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه " .[2] كما نوضح كلام العلامة ابن عاشور أن القصة القرآنية تتمحور حول موضوع القصص والسرد التاريخي تنطلق منه العبرة والحكمة والموعظة الحسنة .

قال جمال الدين القاسمي . رحمه الله . اعلم أن القصص القرآن لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص وإنما هي عبرة للناس". **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾ [هود: 120]. ولذلك لا تذكر الوقائع والأحداث بالترتيب، ولا نسقصى فيذكر منها الطم والرم، ويؤتى بها بالجر وأذن الجر كما في بعض الكتب، التي تسميها الملل الأخرى مقدسة. وللعبرة وجوه كثيرة، وفي تلك القصص فوائد عظيمة .

وأفضل الفوائد وأهم العبر فيها التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية. وقد نبه الله تعالى على ذلك في مواضع من كتابه "**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَا يُؤۡمِنُونَ**

---

[1] . البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان بن منصور الشركة التونسية لفنون الرسم ص 49،50.

[2] . التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج 1 ص 64.

بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجر: 13]وأيضا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر: 85] .[1]

ثم قال ابن عاشور ــ رحمة الله ــ" وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عند بالتذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها، فكان أسلوبه قاضيا للوطرين وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها لأن سوقها في مناسبتها يكسبها صفتين: صفة البرهان وصفة التبيان[2].

فالقرآن جاءت قصصه قاصرة على محل الذكر والتذكير بوقائع من سلفنا من الأمم لتكون غرضها العبرة فأسلوبه في سورة القصص في مناسباتها نال بها وسام القداسة، بخلاف أسلوب القصاصين الذين يبرز قصصهم فقط في مجال المعرفة بأحداث تلك القصة وما دار في فلكها من خير أو شر. ونجد من مميزات قصص القرآن نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكر أقوى من شبهها بالقصص.[3]

قال مساعد الطيار" لا تأتي القصة على الأسماء بالتفصيل كما كان في التوراة والإنجيل، فقد ذكرت الطيور وكلب أصحاب الكهف، وذكر أيضا عزيز وحماره والبلد التي مر عليها ، كل ذلك كان مفصلا في التوراة تفصيلا، أما في القرآن لعلم الله تبارك وتعالى بها، كانت موجزة ليكون مناسبا لأمتي في مرحلها المتقدمة التوراة في مثل هذا العصر وبعد من عصور فلا يناسب أن العصر تذكر أسماء الطيور ،وأسماء الحيوانات، وكذا بل تبقى مبهمة، لأن في ذلك فائدة أعظم من ذكرها ليتم التركيز على عبر القصة، وليس على أمور يحب التفكه في القصص، لأن القصص القرآني أجل وأعظم من أن يساق مساق التفكه، بل يراد منه عبرة وعظة ظاهره.[4]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القلم: 26] فقد حكيت مقالته هذه في موقع تذكير أصحابه بها لأن ذلك محز قَالَ ﴿ فَنَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القلم: 21-22]

---

[1] . محاسن التأويل، محمد جمال الدين للقسامي، ت، محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ط 1. 1957،ج1ص 144.

[2] . التحرير والتنوير ج 1 ص 64 . 65.

[3].المرجع نفسه ج1 ص 65.

[4] . شرح مقدمات التحرير والتنوير، مساعد الطيار، دروس الصوتية . درس رقم 14.

مميزاته طي ما يقتضيه الكلام الوارد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف: 25].

فقد طوي ذكر حضور سيدها وطرقه الباب وإسراعه لفتحه، فإسراع يوسف ليقطع عليها ما توسمه فيها من المكر به لتري سيدنا أنه أراد بها سواء وإسراعها هي لضد ذلك لتكون البادئة بالحكاية فتقطع على يوسف ماتوسمته فيه من شكاية. فدل على ذلك ما بعده من قوله تعالى﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف: 25]

فالقرآن لا يقتصر في طياته على بعض الكلام الوارد في القصة، وإنما قد يقتصر أيضا في ذكر بعض الأماكن والأشخاص، لأنه ذلك لا يحمل في معناه عبر ولا موعظة كما في قصة يوسف في نفس السورة، فقد طوي ذكر أسماء إخوة يوسف ، والبلد التي أتو منها كما في قوله تعالى "﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: 100] لأنه طيه إيجاز في ذكرها وبلاغة في كلمها.

"ومنها أن القصص بثت بأسلوب بديع إذ ساقها في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع".[1]

المطلب الثاني: فوائد القصص القرآني عند ابن عاشور.

تميز شيخ الزيتونة رحمه الله بدقه الأسلوب عن غيره من العلماء من خلال كلامهم عن القصص القرآنية فاستنبط من ذلك عشر فوائد، أوضحها في مقدمته السابعة من تفسيره ، وأتى بفوائد التي غفل عنها من سبقه من الباحثين ، ونص ذلك على أهميتها وسنقوم في هذا المبحث بالتحليل ذلك فوائد:

الفائدة الأول قال: _رحمه الله _ " أن قصارى علم أهل الكتاب في ذلك العصر كان معرفة أخبار الأنبياء وأيامهم وأخبار من جاورهم من الأمم ن فكان اشتمال القرآن على تلك القصص التي لا يعلمها إلا الراسخون في العلم من أهل الكتاب تحديا عظيما لأهل الكتاب وتعجيزا لهم بقطع

[1]. التحرير والتنوير، ابن عاشور ج 1 ص 65.

حجتهم على المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: 49]

فكان حملة القرآن بذلك أحقاء بأن يوصفوا بالعلم الدي وصفت به أخبار اليهود، وبذلك انقطعت صفه الأمية عن المسلمين في نظر اليهود، وانقطعت ألسنة المعرضين بهم بأنهم أمه جاهلية، وهدة فائدة لم يبينها عن سلفنا من المفسرين.[1]

من خلال هذه الفائدة يتضح لنا أن علم أخبار الأمم البائدة قبل عصره التنزيل لم يكن معروفا عند العرب، وإنما كان معلوما عند أخبار وعلمائهم، وهم أعلم الأمم به، فكانوا يباهون به العرب، فنزل القرآن يشتمل على تلك القصص وما يزيد عليها من تصحيح أخطاء، وبيان معان، وتعدد الأدلة في الأنفس والآفاق، فساوت معرفة الصحابة في أخبار الأمم البائدة أحبار اليهود وعلمائهم عن من سبقهم من الأمم، بهذا انتفت صفة الجهل والأمية عن الصحابة، فكانوا أحقاء بأن يوصفوا بالعلم، وإن كان هذا إعجازا القرآن وتحديا لأهل الكتاب، إلا أنه كان أقوى في دحض الحجج والشبة التي ألصقها أهل الكتاب بالعرب وجهلهم بأنباء من سبقهم من أهل الأديان الأولى. ومن ذلك دليل على صدق الرسالة المحمدية، وأن هذا القصص كله من عند الله، وله عدة أدلة من الكتاب العزيز: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[هود:49].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأعراف: 111].

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت: 48-49]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا

[1]. المرجع السابق ، ج 1ص 65.

مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القصص: 44 – 46].

قال الشيخ عثمان منصور: " في كلام الأستاذ حذف لابد من اعتباره ليصبح كلامة إذ يؤدي عدم تقدير المحذوف إلى بطلانه لأنه لم يطلع على جميع التفاسير، وإن كانت خزانته صانها الله عامرة بما لذّ وطاب من مملوك ومستعار في حكمه، كشرح المرزوقي على ديوان الحماسة مثلا، وإذا عارض أحد في هذا وقال إنه مطلع على جميع التفاسير وأن مكتبته مشتملة على كل مطبوع منها ومخطوط فإننا نرد إلى الصواب، يقول لأستاذ نفسه المتضمن أنه لم يطلع تفسير أحكام القرآن لصاحبه إسماعيل بن إسحاق بن حماد المالكي الحشور مع أصحاب الهمم العالية من المفسرين كما ذكر بصفحة أربع وسبعين من هذه المقدمات التفسيرية، وبهذا تبطل دعوى هذا المعارض أن الأستاذ أطلع على جميع التفاسير ولهذا نفى عنها التعارض إلى ما ذكره مختصا به ونسبته لنا إلى الاتساق في البحث لا دليل عليه " فغفل، فلاشك أن مرادة له قطعا وإن ضرب المعارضون عرض الحائط بكلامنا فالله حسيسهم، ثم إن اختصاص الأستاذ بذكر هاته الفائدة بالنسبة للمفسرين قد يكونوا واقعا، أما بالنسبة إلى غيرهم من العلماء من العلماء فلا فإنهم ذكروا من أوجه الإعجاز أخباره الغيبية التي أطلع على بعضها أهل الكتاب وسلمها بعضهم بلسانه وقلبه وبعضهم بقلبه فقط وفي ذلك إجمال لما أفضح عنه الأستاذ فله فضل الإفصاح .[1]

قلت: لعل في كلام الشيخ عثمان بن منصور بعض القسوة والشدة في الرد على بن عاشور ــرحمه الله ــ من خلال كلامه " فغفل " فلاشك أن مرادة له قطعا وإن ضرب المعارضون عرض الحائط بكلامنا فالله حسيسهم " فقد اعتذر ابن عاشور ــ رحمه الله ــ بكلام له في مقدمته بقوله " وقد ميزّت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكر المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في النفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم، وكم من فهم تستنظره وقد تقدمك إليه متفهم .[2]

---

[1]. البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان منصور، ص 50 ــ 51.

[2]. التحرير والتنوير، ابن عاشور ج 1 ص 7.

الفائدة الثانية:

قال ابن عاشور _ رحمه الله _ "أن من أدب الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم فكان اشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلا لهامة التشريع بذكر تاريخ المشرعين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: 146]

وهذه فائدة من فتوحات الله لنا أيضا. وقد رأيت من أسلوب القرآن في هذا الغرض أنه لا يتعرض إلا إلى حال أصحاب القصة في رسوخ الإيمان وضعفة وفيما لذلك من أثر عناية إلهية أو خذلان. وفي هذا الأسلوب لا تجد في ذكر أصحاب هده القصص بيان أنساهم أو بلدانهم إدا العبرة فيما وراء ذلك من ضلالهم أو إيمانهم، وكدلك مواضع العبرة في قدرة الله تعالى في قصة أهل الكهف **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف: 9] إلى قوله تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: 13].

الآيات. فلم يذكر أنهم من أي قوم وفي أي عصر. وكذلك قوله فيها: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف:.13]

فلم يذكر أية مدينة هي لأن موضع العبرة هو انبعاثهم ووصول رسولهم إلى مدينة إلى قوله وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ".[1]

ذكر _رحمه الله _في هذه الفائدة عبرة تلحق الأنبياء وأقوامهم، وهده سنه الله في الخلق، فمن عرف تاريخ من سلفه من أهل الشرائع السماوية، من خلال كتبتهم أو ما قصه القرآن من أحكام تشريعية، لمعرفة ما كان قد كلف به أهل الشرائع السماوية الأولى وخاطبوا به، لتقوية الإيمان، والصبر عند الشدائد، وحكاية هذا القصص إنما هو لتثبيت العقائد ورسوخ الإيمان، وأما ذكر ماحل بهم من ضعف ووهن وعذاب ولم يصدهم ذلك عن دين الله، كانت تسلية للصحابة ليتيقنوا في أن سنه الأعداء في ذلك واحدة، ففي صحيح البخاري عن خبّات ﷺ قال " أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت يا رسول الله ألا تدعو ا الله، فقعد وهو محمر وجهه، فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما

[1]. المرجع السابق، ج 1ص 65.

يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الركاب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ". [1]

ومن فوائد القصة تأتي في صورة عامة تبين ما حدث لأسلافنا المؤمنين من أجل تثبيت الإيمان ورسوخها في قلوبهم، وهذا دأب كثير من قصص القرآن، لأن محل الشاهد هو العبرة، لا الأشخاص بذاتهم، ولازمن من وقوع الحادثة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: 146].

يقول سيد قطب: _ رحمة الله _في هذا المقام " والمثل الذي يضربه لهم هنا عام لا يحدد فيه قوما، إنما يربطهم بموكب الإيمان ويعلمهم أدب المؤمنين يصور لهم الابتلاء كأنه الأمر المطرد في كل دعوة وفي كل دين، ويربطهم بأسلافهم من اتباع الأنبياء ليقرر قراية المؤمنين للمؤمنين ويقر في أخلاقهم أن أمر العقيدة كله واحد ."[2]

ومنها أيضا تجد القرآن لا يذكر بعض الآثار بذاتها وصفاتها كالبلدان والأماكن وغيرها، فيقتصر على محل العبرة وما جرى فيها من عواقب الخير أو الشر، ومن ذلك قصة أهل الكهف مثلا... لم يذكر القرآن المكان الذي جرت أحداث القصة على مسرحه فلم يشر إلى البلد أو الإقليم الذي ينتهي إليه هؤلاء الفتية ومع هذا فإن ظلال المكان تملح هنا وهناك في ثنايا القصة القرآنية في هذا الحديث، فهؤلاء الفتية اقد أجمعوا أمرهم على يعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله، وأن يلتجئوا إلى كهف بعيد عن الأعين حتى تتاح لهم فرصة الهرب إلى بلد غير هذا البلد، ثم ترى وقد حواهم الكهف، بعيدا عن المدينة وأهلها، ثم هؤلاء يستيقظون بعد هذه النومة الطويلة، ثم يبعثون أحدهما إلى المدينة ليمتار لهم طعاما، وهكذا نرى المكان يشارك في تحديد أبعاد الأحداث مشاركة تعيين على تنمية الحدث وفي تحريكه، ولكن في تناقل وتباطؤ"[3].

---

[1]. صحيح البخاري، محمد إسماعيل، كتاب فضائل الصحابة، باب من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصاحبه والمشركين بمكة، دار ابن كثير، اليمامة بيروت تحق: د مصطفى ديب البغاء ط 3، 1407هـ . رقم حديث 3639 ج 3 ص 1398 .

[2]. في ظلال القرآن سيد قطب ج 1 ص 488.

[3]. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، ص 93.

وأيضا ما يجرى في القصة في إبهام بعض الشخصيات، ليكون ذلك محل عبرة ووعظ أقرب للأذهان، لأنها تحمل في طياتها عبرة للاحق لينتبه وليحذر، كما

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [النحل: 75].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: 29]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: 112]

قال الشيخ عبد الكريم الخطيب _ رحمة الله _ فهذه الشخصيات النكرات لاتدعوا ضرورة إلى تعريفها لأنها لا تؤدي دورها في الحدث القصصي هنا باعتبارات خاصة مميزة لها، وإنما هي مثل عام لجنسها كله، في صلاحيته للقيام بهذا الدور.... ومن هنا تكون عمومية المثل وصلاحيته للقيام بهذا الدور... ومن هنا تكون عمومية المثل، وصلاحيته الشاملة لجميع أفراد الجنس فيما ضرب له، وسيق من أجله .[1]

في حين يذكر القرآن الكريم أسماء الشخصيات المعروفة والمشهورة لكونها مذكورة في الكتب السماوية السابقة، أو حفظها التاريخ، فذكرها حجة لكيلا ينكره منكر أو يجحدها معاند ومن هنا يبطل قولهم أساطير الأولين.

الفائدة الثالثة:

ما فيها من فائدة التاريخ من معرفة ترتيب المسببات على أسبابها في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النمل: 52]؛ وما فيها من فائدة ظهور المثل العليا في الفضيلة وزكاء النفوس أو ضد دلك.

[1] التحرير والتنوير، المرجع السابق ج 1ص 100.

أكد _رحمه الله _في هذه الفائدة على أن القرآن جاء يحذر من سنّية الاقتداء بالأولين في الضلال والكفر، وما يترتب عنه من إفساد في الأرض، فجاء القصص في القرآن دالا على ذلك من عدة وجوه:

أولا: عدم اتباع سنن الأولين في الكفر والطغيان، مما يؤدي في ذلك من إفساد في الأرض، فكان مالهم الخراب والدمار.

ثانيا: العبرة والاتعاظ بما حل بأعداء الأنبياء من عواقب كان نهايتها الهلاك كما في قصة موسى عليه السلام في إغراق عدوه الطوفان.

ثالثا: النظر بالعين المجردة دليل على ثبوتيه الشيء أحقيته. ولقد وقفت على كلام نفيس ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور _رحمه الله _بقوله " إن إرادة الآيات تزيد يقين الرائي بوجدها الحاصل من قبل الرؤيـــــة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [الأنعام: 75]

ثم قال " فإن فطرت الله جعلت إدراك المحسوسات أثبت المدلولات البرهانية "

ومن أمثلة ذلك ما جاء في مطلع سورة الإسراء جاءت الآيات حافلة بذلك المشهد الرائع في قصة موسى عليه مع بني إسرائيل، وكيف كانت عاقبة المكذبين الضالين المضلين، فما من قوم إلا وبعث فهم رسول وكتابه، آخذ في طياته العبرة والموعظة لتقتدي الأمة وتحذر، وهذه من فوائد معرفة تاريخ من سلفنا من قبل.

قال ابن عاشور _رحمه الله _ في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾ [الإسراء: 9]

" استئناف ابتدائي عاد به الكلام إلى الغرض الأهم من هذه السورة وهو تأييد النبي ﷺ بالآيات والمعجزات، وإيتاؤه الآيات التي أعظمها آية القرآن، وأعقب ذلك بذكر ما أنزل على بني إسرائيل من الكتب للهدى والتحذير، وما نالهم من جزاء مخالفتهم ما أمرهم الله به، ومن عدو لهم عن أسلافهم من عهد نوح. وفي ذلك فائدة من وقوع المسلمين فيما وقع فيه بنو إسرائيل، وهي الفائدة العظمى من ذكر قصص القرآن، وهي فائدة التاريخ ".[1]

[1]. التحرير والتنوير ج 15 ص 53.

الفائدة الرابعة: ما فيها من موعظة المشركين بما لحق الأمم التي عاندت رسلها، وعصت أوامر ربها حتى يرعوا عن غلوائهم، ويتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم، وكيف يورث الأرض أولياءه وعباده الصالحين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: 176].قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: 111]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: 105]

وهذا في القصص التي يذكر فيها مالقيه المكذبون للرسل كقصص قوم نوح وعاد وثمود وأهل الرس وأصحاب الأيكة.[1]

ذكر ــ رحمه الله ــ في هاته الفائدة على أنه صلى الله وعليه سلم ــ يذكرهم ــ المشركين ــ بقصص الأولين من الأمم التي عاندت رسلها وما حل بها من هلاك من أجل أخذ العبرة أو الاتعاظ حتى تفشوا الغلطة فيهم، ويتعظوا بمصارع المكذبين وذلك يكون بالسير في الأرض فيكون بالنظر والاستدلال ووقوعه تحت أقوى ويتعظوا بمصارع المكذبين وذلك يكون بالسير في الأرض فيكون بالنظر والاستدلال ووقوعه تحت الحس أقوى تأثيرا في نفوسهم، وفي ذلك آيات كثيرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: 46]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم: 9]قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [غافر: 82]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [محمد: 10]

---

[1] ـ المرجع السابق ج1 ص66.

فهذا كله تذكيرا لهم، ثم ختم الفائدة بأن الأرض يرثها الصالحون فهذه بشارة لأهل الإيمان بميراث الأرض بعد مالقوا فيها الأذى من قبل المشركين.

الفائدة الخامسة: " أن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهودا فكان مجيئه في القرآن، إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثلة إذ لم يعتادوه، انظر إلى حكاية أحوال الناس في الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف وقد تقدم التنبيه علية في المقدمة الخامسة فكان من مكملات عجز العرب على المعارضة"[1].

من خلال هاته الفائدة يعلم بأن أسلوب المحاورة لو لم يكن معهودا عند العرب ولا يعرفونه وإنما غلب عليهم الوصف والنقل. أي الوصف في الأشعار والنقل في المنثور من الأخبار. فقد كان أسلوب القرآن في المحاور ساميا في العبارة، دقيقا في المعنى خاليا من الإطناب، معجزا في تراكيبه وبلاغته، بحيث أضاف كلمات ربما لم تكن تعرفها العرب كلامهم في ذلك الزمان وهم أرباب الفصاحة.

قال في مقدمته العاشرة _ رحمه الله _ " فجاء القرآن بأسلوب في الأدب غض جديد صالح لكل العقول، متفنن إلى أفانين أغراض الحياة كلها معط لكل فن ما يليق به من المعاني والألفاظ واللهجة، فتضمن المحاورة، والخطابة والجدال والأمثال أي. الكلم الجوامع. والقصص، والتوصيف والراوية، وكان لفصاحة ألفاظه وتناسبها في تراكيبه وترتيبه على ابتكار أسلوب الفواصل العجيبة المتماثلة في الأسماع وإن لم تكن متماثلة الحروف في الأسجاع، كان لذلك سريع العلوق بالحوافظ خفيف الانتقال والسير القبائل، مع كونه مادته ولحمته هي الحقيقة دون المبلغات الكاذبة والمفاخرات المزعومة، فكان بذلك له صولة الحق وروعة لسامعيه، وذلك تأثير روحاني وليس بلفظي ولا معنوي ".[2]

الفائدة السادسة:

أن العرب بتوغل الأمية والجهل فيهم أصبحوا لا تهتدي عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما ينتزع منه ما فقتدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجهلوا معظمها وجهلوا أحوال البعض الذي عملوا أسماءه فأعقبهم ذلك إعراضا عن السعي لإصلاح أحوالهم بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها، قال مشيرا إلى غفلتهم قبل الإسلام.

---

[1]. المرجع السابق ج 1 ص 67.

[2]. المرجع نفسه ج 1 ص 119.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [إبراهيم: 45]

يريد بهاتة الفائدة أن العرب بتوغل الأمية تناسوا فيهم أحوال الأمم السابقة، بسبب بعد أحبار اليهود وعلمائهم عن العرب في الأمصار، مما جعلتهم يفقدون الاتعاظ، والذي يظهر أنهم كانوا لا يعلمون عنها شيئا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: 49]

وربما كان يعلم ذلك النزر اليسير منهم، وإن كانوا العرب يعلمون تلك القصص، فكانت معرفتهم بذلك إجمالا لا تفصيلا، أو انهم يعلمون إلا الأسماء فقط دون أحداث القصة بكاملها، كما فعل صحابة رسول صلى الله حينما سألوه عن قصة يوسف عليه السلام فكان علمهم باسم النبي يوسف عليه السلام دون معرفة ما جرى له من أحداث مع إخوته وما ابتلي به طيلة حياته، وكيف ينصر الله أنبيائه.

الفائدة السابعة: " تعويد المسلمين على معرفة سعة العالم وعظمة الأمم والاعتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم وصمة الغرور كما وعظهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت:15]، فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات وملائمات حياة الناس تطلبت كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها ".[1]

الفائدة الثامنة: " أن ينشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب إذا رضوا من العزة باغتيال بعضهم بعضا فكان منتهى السيد منهم أن يغنم صريمة، ومنتهى أمل العمادي أن يرعى غنيمة، وتقاصرت همهم عن تطلب السيادة حتى آل بهم الحال إلى أن فقدوا عزتهم فأصبح كالأتباع للفرس والروم فالعراق كله واليمن كله وبلاد البحرين تبع لسيادة الفرس، والشام ومشارفة تبع لسيادة الروم وبقي الحجاز ونجد الحجاز ونجد لا غنية لهم عن الاعتزاز بملوك العجم والروم في رحلاتهم وتجارتهم "[2].

---

[1] . التحرير والتنوير، ابن عاشور ج 1 ص 66 .

[2]. المرجع نفسه ،ج 1 ص 67 .

وقد تعقب الشيخ . رحمه الله . على هده الفائدة "بأن قصص القرآن ليس فيه ما نسبه الأستاذ إليها وإن كره ذلك أصحاب الفكر الجديد فهي لا تبعث في المسلمين إلا الزهد ولا تدفعهم إلا لإصلاح النفوس وتقويم النيات والأعمال وقد عافوا بها الجشع والشره والحرص والرفاهية والتنافس في الدنيا والتكاثر منها والتعالي وأشربت في نفوسهم حب السعي في رضاء من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين نعم ورد في كلامه تعالى أنه أعزهم أو سيعزهم فمن ذلك: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: 8].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55]

فانقادوا لمراد الله وفكوا رقابهم من حكم الظالمين الضالين المضلين من عبدة الأصنام والنيران وأدخلوا دين الله في قلوب الغافلين عن هداية الإسلام وحاربوا أعدائه الباذلين جهدهم في إركاسة وتعطيل دعوته وجعلوها مالكه لنفوسهم إذا وقفوا على خدمة تلك الدعوة فبلغوا ما أقدرهم الله عليه ولم يزاحموا من انتصروا عليهم إلا في مكارم الأخلاق التي بعث سيدنا محمد صلى عليه وسلم لتتميمها فبقى عزهم في شموخه ما بقيت صبابتهم في رضاء الله ولما تحول حبهم إلى الدنيا وعضوا عليما بالنواذج وصارت غايتهم أخذ ذلك لعز في التدلي إلى أن صرنا.. مانحن عليه فصدق علينا قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: 11] فالقصص القرآن لم تطبع في نفوس المسلمين...والدي حمل على بدل على أرواحهم في إصلاح النفوس حسيا ومعنويا قصد شريف ساقهم إليه القرآن العظيم."[1]

الفائدة التاسعة: معرفة أن قوة الله تعالى فوق كل قوة، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء: من الاستعداد والاعتماد، سلموا من تسلط غيرهم عليهم. وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير وكيف ينصرهم الله تعالى في قوله:﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء87].[2]

---

[1]. ينظر، البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان منصور ص 51 . 52.

[2]. التحرير والتنوير، بن عاشور ج 1 ص 67.

هذا مما لا شك فيه: فإن القصص القرآني يربي في المسلم العزة والشرف، فقصص الأولين التي تتلى عليهم آناء الليل وأطراف النهار ممن عصى الله، ومن عاقبه الله، وأخبار من رفعه الله من الأنبياء والصالحين وأتباعهم، يولد فيهم العزة والشرف، والتطلع إلى ما سده الأوائل من عزة وشرف، ويبتعد عن الرذائل والمنكرات والأحوال السيئة والذل والمهانة، لذلك الصبية الصغار يربي دائما على فضائل الأعمال وأحاسنها، والتشوق لما عليه الصالحين وأصحاب القدوة الحسنة للتأسي بهم. ويرسخ أيضا في ذهنهم حب التطلع والمجد والتمكين حتى يشبوا على أرقى المكانات في المجتمع، وينادى بأرقى الأسماء المحبوبة إليه حتى تكون همته عالية إلى ذلك المستوى، أما إذا ألقي فيهم حب الرذائل والشهوات وفساق الأمور فيخرج صبية لا قيمة لهم ولا عزة لهم ويولدون على الرذائل والمنكرات .

من هذا جاء قصص الأنبياء لبيان على اتباع الرسل والأنبياء وأصحاب القدوة الحسنة هم الأولى بالخروج من الذل إلى العز، ومن الخذلان إلى التمكين الأرض، فربلا سيد هذه الأمة _النبي صلى الله عليه وسلم _تلك الثلة على هذا فخرج العرب من الحقارة والذل إلى الرياسة، ومن العبودية إلى الحرية، فأصبحوا سادة لأمم وقادة شعوب.

الفائدة العاشرة: أنها يحصل منها بالتتبع فوائد في تاريخ التشريع والحضارة وذلك يفتق أذهان المسلمين للإمام بفوائد المدينة كقوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: 76].

في قراءة من قرأ دين بكسر الدال، أي في شرع فرعون يومئذ، فعلمنا أن شريعة القبط كانت تخول الاسترقاق السارق. وقولة:﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: 79]،يدل على شريعتهم ماكنت تسوغ أخد البدل في الاسترقاق، وأن الحر لا يملك إلا بوجه معتبر.

ونعلم من قوله ﴿ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: 36]

فأرسل فرعون في المدائن حاشرين [أن نظام مصر في زمن موسى إرسال المؤذنين والبريح بالإعلام بالأمور المهمة. ونعلم من قوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: 10]

أنهم كانوا يعلمون وجود الأجباب في الطرقات وهي آبار قصيرة يقصدها المسافرون للاستفاء منها. وقال تعالى ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يوسف: 13]. أن بادية الشام إلى مصر كانت توجد بها الذئاب المفترسة وقد انقطعت منها اليوم [1]

المطلب الثالث: أغراض تكرار القصة القرآنية عند ابن عاشور.

ختم بن عاشور ــ رحمه الله ــ هاته المقدمة العظيمة ببيان أسباب تكرار القصة القرآنية في سور كثيرة من القرآن، وهو رد على كثير من المتشككين والمتحيرين فقال: "وفيما ذكرنا ما يدفع عنكم هاجسا رأيته خطر لكثير من أهل اليقين والمتشككين وهو أن يقال: لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها. وما فائدة تكرار القصة في سورة كثيرا، وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم إلى مناهج الإلحاد في القرآن[2]."

قال عثمان منصور ناقدا كلام بن عاشور " هذا لا يدفع بما ذكره الأستاذ قبل ولا بما سيذكره بعد بالنسبة للمشككين لوضوح الأمر وظهور الفائدة في التكرار، إلا إن مرض قلوبهم يحملهم على تحسين القبيح وتقبيح الحسن، وتكلف المطاعن ليشككوا غيرهم، أو ينعتوا بالذكاء والتمحيص، أو يعذروا في ديرتهم الحقيقة أو المتكلفة فهؤلاء لا دواء لهم إلا ما يقذفه الله في قلوبهم من نور، وأما أصحاب اليقين فقصارهم أن تنشرح صدورهم ويزادوا إيمانا، ومحال أن يفقدوا عند جهله اطمئنانا أو تستفزهم حيرة فيتقلدوا عوضه كفرانا "[3].

ثم قال ــرحمه الله ــ " والذي يكشف لسائر المتحيرين حيرتهم على اختلاف نواياهم وتفاوت مداركهم أن القرآن كما قلنا هو بالخطب والمواعظ أشبه من بالتأليف. وفوائد القصص تجلتها المناسبات وتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى ، كما لا يقال للخطيب في قوم، ثم دعته المناسبات إلى أن وقفت خطيبا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة إنه أعاد الخطبة، بل إنه

---

[1]. المرجع السابق ج1 ص 68.

[2]. المرجع السابق ج1 ص 69.

[3] البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان منصور، ص 52، 53.

أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته. وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي."[1]

فقصة آدم عليه السلام وردت في مواطن شتى، فالذي ذكر في سورة البقرة يختلف عن الذي ورد في ذكره في سوره الأعراف، ويختلف أيضا عن الذي ورد في سورة الحجر، في حين يختلف أيضا ورود آياتها من ناحية الطول والقصر، ووقعها على الأذهان والأسماع والتفنن في البديع، لذلك كان قصص القرآن يحتاج إلى جمع القصة الواحدة، والنظر في مدلولاتها والسياق الذي سيقت من أجله في كل سورة، وبيان الغرض في ذلك يخرج بقصة واحدة مشكلة في صور متعددة، مع الاعتقاد أنه ليس هناك تكرار في القصص القرآني.

ثم قال_ رحمه الله _" ثم تحصل معه مقاصد أخرى."

أحدهما: رسوخهما في الأذهان بتكريرها " .[2]

لما كانت القصة أحد أبرز وسائل الدعوة أخذت حظا وافرا في سورة القرآن فكان حكمة من تكرار القصة الاستخلاص الحكمة والموعظة، ورسوخها في الأذهان.

الثاني: ظهور البلاغة، فإن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تقنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية، او تفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقضية الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات، مثل ولئن رددت، ولئن رجعت، وتفنن المحسنات البديعية والمعنوية واللفظية ونحو ذلك كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الاعجاز.

الثالث: أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم، فإن تلقى القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من تطلبه من حافظيه.

الرابع: أن جمع المؤمنين جميع القرآن حفظا كان نادرا بل تجد البعض يحفظ بعض السور فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالما بتلك القصة. كعلم من حفظ سورة أخرى ذكرت فيها تلك القصة.

---

[1]. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1 ص 68.

[2]. المرجع السابق ج1 ص 68.

الخامسة: أن تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر وذلك الأسباب: منها تجنب التطويل في الحكاية الواحدة فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع ويذكر آخر في موضع فيحصل من متفرق مواضعها في القرآن كامل القصة أو كمال المقصود منها، وفي بعضها ما هو شرح لبعض.[1]

قال عثمان منصور " سئلت عن معنى الجملتين الآخرتين فتحيرت ثم أطمأنت نفسي إلى أن أقول أن الاستاذ ربما أراد ان القصة المذكورة في موضعين أو مواضع قد يحذف منها في موضع ما يذكر بهما، وهي في موضع آخر والمأمول أني لابست الصواب ،وأحسنت الجواب وإلا ففي الأجر الواحد خير كثير لمن يقنع ودليل على صحة بياني وهو قوله فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع ويذكر في موضع آخر" .

ثم نعود إلى تتمته الأسباب فمنها " أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسبا للحالة المقصودة من سامعيها، ومن أجل ذلك تجد ذكر لبعض القصة في موضع وتجد ذكر أخر منها لأن يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له، فإنها تارة تساق إلى المشركين، وتارة إلى أهل الكتاب، وتارة تساق إلى المؤمنين، وتارة إلى كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى. وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقدمات، ألا ترى قصة بعث موسى كيف بسطت في سورة طه، وسورة الشعراء، كيف أوجزت في آتين في سورة الفرقان.**قَالَ تَعَالَى:**

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الفرقان: 35-36]

ومنها أنه قد يقصد تارة التنبيه على خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد بذلك. فهذه تحقيقات سمحت بها القريحة، وربما كانت بعض معانيها في كلام السابقين غير صريحة.[2]"

تتبعت بعض كلام الشيخ محمد الطاهر_ رحمه الله _في تفسيره التحرير والتنوير في تحليله القصص القرآني ورأيه في تكرار والله اعلم.

---

[1]. المرجع نفسه ج 1 ص 68.

[2]. التحرير والتنوير ج 1 ص 68.

. تكرير اللفظ في القصة الواحدة لا يخلوا من فائدة ولكل غرض مهم في ذلك وإلا لكان التكرار يثقل السامع.

. ويكون تفنن في الكلام وذلك لتجديد نشاط السامع.

. التنويه على عظم ذلك شيء وتقريره في الأذهان.

. ويكون ذلك التكرار رابط للآية التي قبلها.

. أو يكون تأكيدا للحكم ذاته.

. بروز البلاغة العالية في كيفيه طريقة السرد الاساليب.

.كان التكرار في القصة تحديا للعرب في الإيجاز والاطناب في الكلام.

المبحث الثاني: تعريف سورة سيدنا يوسف عليه السلام

تميزت هذه قصة عن باقي القصص الأنبياء حيث كانت حياته عليه سلام نموذجا الابتلاء والصبر ثم الخروج من المحن والشدائد بفضل من الله ورحمته عليه، مع رفع الشأنه وسمو المنزلته عليه السلام لتكون هذه القصة ذكرى للذاكرين وسلوة للقارئين والسامعين.

المطلب الأول: أسماء سوره وعدد آياتها.

الفرع الأول: أسماء السورة .

الاسم الوحيد لهذه السورة هو سورة يوسف، فقد ذكر ابن حجر [1]، "أن أبا رافع بن مالك الزرقي عن ابن اسحاق أول من قدم المدينة بسورة يوسف، ووجه تسميتها بسورة ظاهر لأنها ذكرت فيها قصة يوسف عليه السلام كلها ولم تذكر قصة في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها الا في سورة الانعام وسورة غافر وفي هذه سورة تميزت لها من بين السور المفتتحة بحروف ألر.[2]

الفرع الثاني: بيان مكيها ومدنيها وعدد آياتها.

وهي مكية كلها وقيل أن الآيات الثلاثة الأولى مدنية وهو رأي ضعيف قال السيوطي رأي واه جدا فلا يلتفت إليه.[3] لأن السورة كلها قصة واحدة، نزلت بعد سورة هود وقبل سورة الحجر وهي سورة الثالثة وهي سورة والخمسون في ترتيب نزولها [4]، وعدد آياتها مئة وإحدى عشر آية ليست فيها اختلاف .[5]قال العلماء إنما سميت قصة يوسف أحسن القصص لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة، والشياطين والأنعام، وسير الملوك، والمماليك والتجارة والعلماء والرجال، والنساء، وذكر حيلهن، والفقه، وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشر والصبر على الأذى إلى غير ذلك من العجائب .[6]

---

[1] . أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر من أيمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين ولد بالقاهرة، وتوفي بها سنه 852هـ.ينظر الأعلام الزركلي ج 5 ص 85.

[2] . أسماء السور وفضائلها، دكتوره منيره محمد ناصر الدوسري . دار النشر ابن الجوزي . ط 1سنه 1462هـ ص 230.

[3] .التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ج 12 ص 197.

[4] . أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، عبد الله محمود شحاته الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976ص 139.

[5]. البيان في عد آي القرآن، ابو عمر عثمان بن سعيد الداني، تحق: غانم قدوري الحمد، دار المخطوطات والتراث . الكويت ط 1سنه 1414هـ . 1994م . ج 1ص 167.

[6] . زاد المسير في علم تفسير، محمد بن الجوزي ، المكتب الإسلامي، ط3 ج، 1404، ج 4ص 14

المطلب الثاني: سبب النزول السورة:

جاء سبب نزول هذه السورة ما أخرجه ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول لو قصصت علينا فنزل "نحن نقص عليك أحسن القصص "وأخرج ابن مرديه عن ابن مسعود .[1]

المطلب الثالث: فضل السورة:

جاء فضل هذه السورة عن أبي بن كعب قال: رسول اللهﷺ "اعلموا أرقاءكم سورة يوسف، فإنه أيما مسلم تلاها أو علمها أهله أو ما مالكت يمينه هون عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة ألا يحسد مسلما " وروي البيهقي أن طائفه من اليهود حين ما سمعوا ﷺ يتلو هذه السورة أسلموا لمواقفتها ما عندهم.[2]

المطلب الرابع: مناسبه سورة.

الفرع الأول: مناسبة لما قبلها.

نزلت هذه السورة بعد سورة هود وهي مناسبة لها في كل من قصص الأنبياء وقصص وإثبات الوحي على النبي ﷺوقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن، بأسلوب مختلف ولمقاصد وأهداف متنوعة بقصد العظة والاعتبار إلا قصة يوسف عليه السلام، فلم تذكر في غير هذه السورة، وإنما ذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل للإشارة إلى ما في القرآن من إعجاز.[3]

الفرع الثاني: مناسبة لما بعدها.

لما ختم الله تعالى سورة التي قبلها بدليل حقيقة القرآن وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون، وأن كلا سورتين تضمنت الحديث على القصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف نجى الله المؤمنين المتقين وأهلك الكافرين، وأما المقاصد فكل من السورتين الاثبات توحيد الإله وجود ففي سورة يوسف **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: 39]

---

[1] . أسباب النزول المسمى لباب النفول في أسباب النزول، جلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي، مؤسسه الكتب الثقافية، ط 1 سنة 1422هـ. 2002م، ص 150.

[2] . تفسير القرآن العظيم، بن كثير ، تحق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة ، ط1، سنة 1418هـ .1997م، ج 4، ص 365.وينظر:جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير الطبري تحق :أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ،ط 1 ،1420 هـ – 2000 م ج 15 ص 565.

[3] . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط 1سنة 1430هـ. 2009م،ج 6ص 516.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: 2]. فيهما من الأدلة على وجود الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه بخلق هذا الكون العجيب سبحانه وتعالى.[1]

المطلب الخامس: محور سورة:

إن سورة يوسف كلها لحمة واحدة عليها الطابع المكي واضحا في موضوعها وفي جوها وفي ضلالها، وإيحائها بل إن عليها طابع هذه الفترة الحرجة الموحشة بصفة خاصة ففي الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني من الوحشة والغربة والانقطاع وعانت معه أيضا الجماعة المسلمة هذه الشدة في المواجهة الجاهلية، نزلت قصة يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وهو يعاني من المحن والابتلاءات، من وحشه الجب إلى فتنة النساء إلى ظلام السجن، وكيف الصبر على كل هذه الابتلاء عليه السلام، وزوال دعوته إلى الإسلام من خلالها وكيف جاءت لحظه الانتصار على المحن جمعيها ولقاءه بأبويه ولم شمله وتأويل رؤياه تحققها كما رآها.[2]

---

[1]. ينظر: تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج5ص 144.

[2]. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ج 4ص 1950.وينظر :سلسلة القصص القرآني سورة يوسف دراسة تحليله ،د أحمد نوفل دار الفرقان عمان. الأردن ط 1409هـ. 1989م ص 17.

المبحث الثالث: مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في عرض القصة.

في هذا المبحث نحاول أن نبين فيه جهد الشيخ الطاهر بن عاشور_ رحمه الله _ في طريقته عرضه للقصة، وبيان أهم المعالم والأسس التي بناها وسار عليها أثناء تحليله للقصة القرآنية.

المطلب الأول: مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في تعامله مع القصة من الناحية اللغوية .

من المعروف أن تفسير ابن عاشور _رحمه الله _من التفاسير التي اهتمت ببيان معاني المفردات في اللغة العربية ، لهذا نجد له الأثر حتى في القصص القرآني ومن ذلك نوضح مسلكه الذي سار عليه في تفسيره القصة الصديق عليه السلام.

عندما تكلم في تفسير سورة يوسف افتتحها ببيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبرة من أنواع مختلفة، وفيها تسلية النبي ﷺ بما لقيه يعقوب ويوسف . عليهما السلام . من ألم من الأذى وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها. واسترقاق الصبي اللقيط. واسترقاق السارق، وأحوال المساجين. ومراقبة المكاييل.

ثم نبّه . رحمه الله . إلى فائدة عظيمة لهذه القصة القرآنية فقال: "وإن في هذه السورة أسلوبا خاصا من أساليب إعجاز القرآن وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فقد كان النضر بن الحارث وغيره يفتنون قريشا بأن ما يقوله القرآن في شأن الأمم هو أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ[1]؛ فالعلامة ابن عاشور يحاول أن يطبّق ما أصّله في هذه المقدمة من ربطها بموضوع الإعجاز؛ فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة تحديا لهم بالمعارضة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ [يوسف: 2]

والتأكيد ب (إن) متوجه إلى خبرها وهو فعل أنزلناه ردا على الذين أنكروا أن يكون منزلا من عند الله.

(1) . التحرير والتنوير، ابن عاشور ج12 ص 198 . 199.

وضمير أنزلناه عائد إلى الكتاب في قوله: ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ ﴾ [يوسف: 1] . وقرآنا حال من الهاء في أنزلناه، أي كتابا يقرأ، أي منظما على أسلوب معد لأن يقرأ لا كأسلوب الرسائل والخطب أو الأشعار، بل هو أسلوب كتاب نافع نفعا مستمرا يقرأه الناس.

وعربيا صفة لقرآنا فهو كتاب بالعربية ليس كالكتب السالفة فإنه لم يسبقه كتاب بلغة العرب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ [يوسف: 3] .

هذه الجملة تتنزل من جملة منزلة بدل الاشتمال لأن أحسن القصص مما يشتمل عليه إنزال القرآن. وكون القصص من عند الله يتنزل منزلة الاشتمال من جملة تأكيد إنزاله من عند الله.

وقوله: بما أوحينا إليك هذا القرآن يتضمن رابطا بين جملة البدل والجملة المبدل منها، وافتتاح الجملة بضمير العظمة للتنويه بالخبر.

وتقديم الضمير على الخبر الفعلي يفيد الاختصاص، أي نحن نقص لا غيرنا، ردا على من يطعن من المشركين في القرآن بقولهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ۝١٠٣ ﴾ [النحل: 103] وقولهم: يعلمه رجل من أهل اليمامة اسمه الرحمان. وقول النضر بن الحارث المتقدم ديباجة تفسير هذه السورة، وفي هذا الاختصاص توافق بين جملة البدل والجملة المبدل منها في تأكيد كون القرآن من عند الله المفاد بقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ۝٢ ﴾ [يوسف: 2] .

أحسن القصص هنا إما مفعول مطلق مبين لنوع فعله، وإما أن يكون القصص بمعنى المفعول من إطلاق المصدر وإرادة المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق، وهو إطلاق للقصص شائع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ۝١١١ ﴾ [يوسف: 111] وقد يكون وزن فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر بمعنى المنبأ به والمخبر به.[1] كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٣ ﴾ [يوسف: 3].

والباء في بما أوحينا إليك للسببية متعلقة بنقص، فإن القصص الوارد في القرآن كان أحسن لأنه وارد من العليم الحكيم، فهو يوحي ما يعلم أنه أحسن نفعا للسامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب، فيحصل منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذوق مما لا تأتي بمثله عقول البشر. اسم الإشارة

[1]. المرجع السابق ج 12ص 214.

لزيادة تمييز، فقد تكرر ذكر القرآن بالتصريح والإضمار واسم الإشارة ست مرات، وجمع له طرق التعريف كلها وهي اللام والإضمار والعلمية والإشارة والإضافة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف: 4]

﴿ إِذْ قَالَ ﴾ بدل اشتمال أو بعض من أحسن القصص على أن يكون أحسن القصص بمعنى المفعول، فإن أحسن القصص يشتمل على قصص كثير، منه قصص زمان قول يوسف- عليه السلام- لأبيه إني رأيت أحد عشر كوكبا وما عقب قوله ذلك من الحوادث. فإذا حمل أحسن القصص على المصدر فالأحسن أن يكون إذ منصوبا بفعل محذوف يدل عليه المقام، والتقدير، والتاء في (أبت) تاء خاصة بكلمة الأب وكلمة الأم في النداء خاصة على نية الإضافة إلى المتكلم، فمفادها مفاد: يا أبي، ولا يكاد العرب يقولون: يا أبي. وورد في سلام ابن عمر على النبيء صلى الله عليه وسلم وصاحبه حين وقف على قبورهم المنورة. وقد تحير أئمة اللغة في تعليل وصلها بآخر الكلمة في النداء واختاروا أن أصلها تاء تأنيث بقرينة أنهم قد يجعلونها هاء في الوقف، وأنها جعلت عوضا عن ياء المتكلم لعلة غير وجيهة. والذي يظهر لي أن أصلها هاء السكت جلبوها للوقف على آخر الأب لأنه نقص من لام الكلمة، ثم لما شابهت هاء التأنيث بكثرة الاستعمال عوملت معاملة آخر الكلمة إذا أضافوا المنادى فقالوا يا أبتي، ثم استغنوا عن ياء الإضافة، غالب لا واستعمل ضمير جمع المذكر للكواكب، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [يوسف: 4] لأن كون ذلك للعقلاء مطرد. كما قال تعالى في الأصنام ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [الأعراف: 198] ،**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل: 18].

وقال جماعة من المفسرين: إنه لما كانت الحالة المرئية من الكواكب والشمس والقمر حالة العقلاء، وهي حالة السجود نزلها منزلة العقلاء، فأطلق عليها ضمير (هم) وصيغة جمعهم.

وتقديم المجرور على عامله في قوله: لي ساجدين للاهتمام، عبر به عن معنى تضمنه كلام يوسف عليه السلام بلغته يدل على حالة في الكواكب من التعظيم له تقتضي الاهتمام بذكره فأفاده تقديم المجرور في اللغة العربية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ [يوسف: 5]

جاءت الجملة مفصولة عن التي قبلها على طريقة المحاورات. وقد تقدمت عند قوله تعالى:

﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [البقرة: 30].

والنداء مع حضور المخاطب مستعمل في طلب إحضار الذهن اهتماما بالغرض المخاطب فيه.

وبني- بكسر الياء المشددة- تصغير ابن مع إضافته إلى ياء المتكلم وأصله بنيوي أو بنيي على الخلاف في أن لام ابن الملتزم عدم ظهورها هي واو أم ياء، وعلى كلا التقديرين فإنها أدغمت فيها ياء التصغير بعد قلب الواو ياء لتقارب الياء والواو، أو لتماثلهما فصار (بنيي) وقد اجتمع ثلاث ياءات فلزم حذف واحدة منها فحذفت ياء المتكلم لزوما وألقيت الكسرة التي اجتلبت لأجلها على ياء التصغير دلالة على الياء المحذوفة. وحذف ياء المتكلم من المنادى المضاف شائع، وبخاصة إذا كان في إبقائها ثقل كما هنا، لأن التقاء ياءات ثلاث فيه ثقل.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ ﴾ [يوسف: 7].

جملة ابتدائية، وهي مبدأ القصص المقصود، إذ كان ما قبله كالمقدمة له المنبئة بنباهة شأن صاحب القصة، فليس هو من الحوادث التي لحقت يوسف- عليه السلام- ولهذا كان أسلوب هذه الجملة كأسلوب القصص.

والظرفية المستفاد من في ظرفية مجازية بتشبيه مقارنة الدليل للمدلول بمقارنة المظروف للظرف، أي لقد كان شأن يوسف عليه السلام وإخوته مقارنا لدلائل عظيمة من العبر والمواعظ، والتعريف بعظيم صنع الله تعالى وتقديره.

والآيات: الدلائل على ما تتطلب معرفته من الأمور الخفية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ﴾ [يوسف: 8]

[1]. المرجع السابق ج 12. ص 214.

وجملة ونحن عصبة في موضع الحال من أحب، أي ونحن أكثر عددا، والمقصود من الحال التعجب من تفضيلهما في الحب في حال أن رجاء انتفاعه من، خوتهما أشد من رجائه منهما، بناء على ما هو الشائع عند عامة أهل البدو من الاعتزاز بالكثرة، فظنوا مدارك يعقوب عليه السلام مساوية لمدارك الدهماء، والعقول قلما تدرك مراقي ما فوقها، ولم يعلموا أن ما ينظر إليه أهل الكمال من أسباب التفضيل غير ما ينظره من دونهم تكون جملة إن أبانا لفي ضلال مبين تعليلا للتعجب وتفريعا عليه، وضمير ونحن عصبة لجميع الإخوة عدا يوسف عليه السلام عصابه. قال جمهور اللغويين: تطلق العصبة على الجماعة من عشرة إلى أربعين» . وعن ابن عباس أنها من ثلاثة إلى عشرة، وذهب إليه بعض أهل اللغة.

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [يوسف: 9] جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن الكلام المتقدم يثير سؤالا في نفوس السامعين عن غرض القائلين مما قالوه فهذا المقصود للقائلين. وإنما جعلوا له الكلام السابق كالمقدمة لتتأثر نفوس السامعين فإذا ألقي إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال إليه.

وهذا فن من صناعة الخطابة أن يفتتح الخطيب كلامه بتهيئة نفوس السامعين لتتأثر بالغرض المطلوب. فإن حالة تأثر النفوس تغني عن الخطيب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: 10].

وجملة إن كنتم فاعلين شرط حذف جوابه لدلالة وألقوه، أي إن كنتم فاعلين إبعاده عن أبيه فألقوه في غيابات الجب ولا تقتلوه، وفيه تعريض بزيادة التريث فيما أضمروه لعلهم يرون الرجوع عنه أولى من تنفيذه، ولذلك جاء في شرطه بحرف الشرط وهو إن إيماء إلى أنه لا ينبغي الجزم به، فكان هذا القائل أمثل الإخوة رأيا وأقربهم إلى التقوى، وقد علموا أن السيارة يقصدون إلى جميع الجباب للاستقاء، لأنها كانت محتفرة على مسافات مراحل السفر. وفي هذا الرأي عبرة في الاقتصاد من الانتقام والاكتفاء بما يحصل به الغرض دون إفراط.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [يوسف: 15].

[1]. التحرير والتنوير ابن عاشور ج 12 ص227.

فعل (أجمع) يتعدى إلى المفعول بنفسه. ومعناه: صمم على الفعل، فقوله: أن يجعلوه هو مفعول وأجمعوا، وجواب (لما) محذوف دل عليه أن يجعلوه في غيابت الجب، والتقدير: جعلوه في الجب. ومثله كثير في القرآن. وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن فهو تقليل في اللفظ لظهور المعنى.

جملة وأوحينا إليه معطوفة على جملة وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب، لأن هذا الموحى من مهم عبر القصة.

وقيل: الواو مزيدة وجملة أوحينا هو جواب (لما) .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: 24]

يقول ابن عاشور: "والمقصود: أنها كانت جادة فيما راودته لا مختبرة. والمقصود من ذكر همها به التمهيد إلى ذكر انتفاء همه بها لبيان الفرق بين حاليهما في الدين فإنه معصوم.[1]

جملة وهم بها لولا أن رأى برهان ربه معطوفة على جملة ولقد همت به كلها. وليست معطوفة على جملة همت التي هي جواب القسم المدلول عليه باللام... فتعين أن الثانية مستقلة لاختصاص شرطها بحال المسند إليه فيها. فالتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به. ولم يقرن الجواب باللام التي يكثر اقتران جواب لولا بها لأنه ليس لازما ولأنه لما قدم على لولا كره قرنه باللام قبل ذكر حرف الشرط، فيحسن الوقف على قوله: ولقد همت به ليظهر معنى الابتداء بجملة وهم بها واضحا. وبذلك يظهر أن يوسف عليه السلام لم يخالطه هم بامرأة العزيز لأن الله عصمه من الهم بالمعصية بما أراه من البرهان، قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: ولقد همت به وهم بها الآية قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف: 25]

قد أبدع إيجاز الآية في جمع هذه المعاني تحت جملة استبقا الباب وقدت قميصه.

---

[1]. المرجع السابق ج 12ص 249 .

[2]. المرجع نفسه ج 12 ص 254.

وصادف أن ألفيا سيدها، أي زوجها، وهو العزيز، عند الباب الخارجي يريد الدخول إلى البيت من الباب الخارجي. وإطلاق السيد على الزوج قيل: إن القرآن حكى به عادة القبط حينئذ، كانوا يدعون الزوج سيدا. والظاهر أنه لم يكن ذلك مستعملا في عادة العرب، فالتعبير به هنا من دقائق التاريخ مثل قوله الآتي قَالَ تَعَالَى:﴿ لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: 26]،ولعل الزواج في مصر في ذلك العهد كان بطريق الملك غالبا. وقد علم من الكلام أن يوسف عليه السلام فتح الأبواب التي غلقتها زليخا بابا حتى بلغ الخارجي كل ذلك في حال استباقهما، وهو إيجاز.[1]

نستنتج أن العلامة الطاهر بن عاشور اعتنى عنايه فائقة في إيضاح وبيان الطريق الذي سار عليه في بيان الأسس اللغوية القصة القرآنية من ناحية البلاغية وبين انسجام اللغوي مع تحليل أحداث القصة في أروع أسلوب من خلال تفسيره سورة يوسف عليه السلام.

ونلاحظ أن ابن عاشور أعرض عن ذكر تلك الإسرائيليات والقصص التي أساءت إلى سيدنا يوسف عليه السلام وذلك من منهجه في تنزيه أنبياء الله وعصمتهم من أقذار المعاصي.

المطلب الثاني: مسلكه في ذكر الأحكام الفقهية وترجيحاته في ذلك .

ذكر ابن عاشور . رحمه الله . مجموعه من المسائل الفقهية المستنبطة من هذه القصة العظيمة وذكر فيها منهجه الذي سار عليه في تفسيره لسورة يوسف الصديق عليه السلام إذا كانت تحتاج مسألة إلى تحليل وتبسيط بسطها، وإن كانت تحتاج إلى ذكر ذكرها ،وأحال على بسطها في الكتب التي أعنتت بها.

1: حقيقة الرؤيا:

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: 4].

وابتداء قصة يوسف عليه السلام بذكر رؤياه إشارة إلى أن الله هيأ نفسه للنبوءة فابتدأه بالرؤيا الصادقة كما جاء في حديث عائشة "أن أول ما ابتدئ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ".[2]وفي ذلك تمهيد للمقصود من القصة وهو تقرير فضل يوسف

---

[1]. المرجع السابق ج 12 ص 205.

[2]- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري ، باب بدء الوحي ،رقم الحديث 2 . ج 1ص 11.

عليه السلام من طهارة وزكاء نفس وصبر فذكر هذه الرؤيا في صدر القصة كالمقدمة والتمهيد للقصة المقصودة.

وجعل الله تلك الرؤيا تنبيها ليوسف عليه السلام بعلو شأنه ليتذكرها كلما حلت به ضائقة فتطمئن بها نفسه أن عاقبته طيبة.

لما كانت رؤيا الأنبياء وحيا، وقد رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ولد فلما أخبره قال ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: 102]. وإلى ذلك يشير قول أبي يوسف عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ﴾[يوسف: 06]ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق. فلا جرم أن تكون مرائي أبنائهم مكاشفة وحديثا ملكيا.

وإنما شرطت المرائي الصادقة بالناس الصالحين لأن الارتياض على الأعمال الصالحة شاغل للنفس عن السيئات، ولأن الأعمال الصالحات ارتقاءات وكمالات فهي معينة لجوهر النفس على الاتصال بعالمها الذي خلقت فيه وأنزلت منه، وبعكس ذلك الأعمال السيئة تبعدها عن ما لوفاتها وتبلدها وتذبذبها.

ثم بين الشيخ الطاهر رحمه مراتب الرؤيا ذكر:

ترى صور أفعال تتحقق أمثالها في الوجود مثل رؤيا النبيء ﷺ أنه يهاجر من مكة إلى أرض ذات نخل، وظنه أن تلك الأرض اليمامة فظهر أنها المدينة، ولا شك أنه لما رأى المدينة وجدها مطابقة للصورة التي رآها، ومثل رؤياه امرأة في سرقة من حرير فقيل له اكشفها فهي زوجك فكشف فإذا هي عائشة، فعلم أن سيتزوجها. وهذا النوع نادر وحالة الكشف فيه قوية.

ومنها أن ترى صور تكون رموزا للحقائق التي ستحصل أو التي حصلت في الواقع، وتلك من قبيل مكاشفة النفس للمعاني والمواهي وتشكيل المخيلة تلك الحقائق في أشكال محسوسة هي من مظاهر تلك المعاني، وهو ضرب من ضروب التشبيه والتمثيل الذي تخترعه ألباب الخطباء والشعراء، إلا أن هذا تخترعه الألباب في حالة هدوء الدماغ من الشواغل الشاغلة، فيكون أتقن وأصدق. وهذا

أكثر أنواع المرائي. ومنه رؤيا أنه يشرب من قدح لبن حتى رأى الري في أظفاره ثم أعطى فضله عمر بن الخطاب ﷺ وتعبيره ذلك بأنه العلم.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ [يوسف: 5]

القص: حكاية الرؤيا. يقال: قص الرؤيا إذا حكاها وأخبر بها. وهو جاء من القصص كما علمت آنفا.

والرؤيا- بألف التأنيث- هي: رؤية الصور في النوم، فرقوا بينها وبين رؤية اليقظة باختلاف علامتي التأنيث، وهي بوزن البشرى والبقيا.

والكيد: إخفاء عمل يضر المكيد. وتقدم عند: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٞ ١٨٣ ﴾ [الاعراف: 183] .

وقصد يعقوب من ذلك نجاة ابنه من أضرار تلحقه، وليس قصده إبطال ما دلت عليه الرؤيا فإنه يقع بعد أضرار.

2_ الحسد بين إخوة يوسف عليه السلام .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [يوسف: 16-17]

والبكاء: خروج الدموع من العينين عند الحزن والأسف والقهر. وتقدم في قوله تعالى﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ ﴾ [التوبة: 82] . وقد أطلق هنا على البكاء المصطنع وهو التباكي. وإنما اصطنعوا البكاء تمويها على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف عليه السلام ولعلهم كانت لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان موجبه، وفي الناس عجائب من التمويه والكيد. ومن الناس من تتأثر أعصابهم بتخيل الشيء ومحاكاته فيعتريهم ما يعتري الناس بالحقيقة، وبعض المتظلمين بالباطل يفعلون ذلك، وفطنة الحاكم لا تنخدع لمثل هذه الحيل ولا تنوط بها حكما، وإنما يناط الحكم بالبينة.

[1]. التحرير والتنوير، ابن عاشور ج 12 ص212.

جاءت امرأة إلى شريح تخاصم في شيء وكانت مبطلة فجعلت تبكي، وأظهر شريح عدم الاطمئنان لدعواها، فقيل له: أما تراها تبكي؟! فقال: قد جاء إخوة يوسف عليه السلام أباهم عشاء يبكون وهم ظلمة كذبة، لا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بالحق.[1]

قال ابن العربي: قال علماؤنا: هذا يدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال أن يكون تصنعا.[2]ومن الخلق من لا يقدر على ذلك ومنهم من يقدر، قلت: ومن الأمثال «دموع الفاجر بيديه» وهذه عبرة في هذه العبرة.

ووصف الدم بالكذب وصف بالمصدر، والمصدر هنا بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، أي مكذوب كونه دم يوسف عليه السلام إذ هو دم جدي، فهو دم حقا لكنه ليس الدم المزعوم. ولا شك في أنهم لم يتركوا كيفية من كيفيات تمويه الدم وحالة القميص بحال قميص من يأكله الذئب من آثار تخريق وتمزيق مما لا تخلو عنه حالة افتراس الذئب، وأنهم أفطن من أن يفوتهم ذلك وهم عصبة لا يعزب عن مجموعهم مثل ذلك. فما قاله بعض أصحاب التفسير من أن يعقوب عليه السلام قال لأبنائه: ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق قميصه فذلك من تظرفات القصص.[3]

3 .كيد امرأة العزيز :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن

---

[1] . المرجع السابق ج 12ص 236.

[2] . أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان . ط3. سنة 1424هـ . 2003،ج 3 ص 35.

[3] . التحرير والتنوير، ابن عاشور ج 12 ص 238.

دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف: 23-29]

بين ابن عاشور في تفسيره هده الآيات عدة أقوال بين منها:

"وقال جماعة: هم يوسف بأن يجيبها لما دعته إليه ثم ارعوى وانكف على ذلك لما رأى برهان ربه. قاله ابن عباس، وقتادة، وابن أبي مليكة، وثعلب. "وبيان هذا أنه انصرف عما هم به بحفظ الله أو بعصمته، والهم بالسيئة مع الكف عن إيقاعها ليس بكبيرة كأنه يشير إلى قولهﷺ: "وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة" فلا ينافي عصمة الأنبياء من الكبائر قبل النبوءة على قول من رأى عصمتهم منها قبل النبوءة، وهو قول الجمهور.[1]

فيه خلاف، ولذلك جوز ابن عباس ذلك على يوسف. وقال جماعة: هم يوسف وأخذ في التهيؤ لذلك فرأى برهانا صرفه عن ذلك فأقلع عن ذلك.

والبرهان: الحجة وهذا البرهان من جملته صرفه عن الهم بها، ولولا ذلك لكان حال البشرية لا يسلم من الهم بمطاوعتها في تلك الحالة لتوفر دواعي الهم من حسنها، ورغبتها فيه، واغتباط أمثاله بطاعتها، والقرب منها، ودواعي الشباب المسولة لذلك، فكان برهان الله هو الحائل بينه وبين الهم بها دون شيء آخر.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[يوسف: 31] قال بن عاشور ": لأنهن أردن بذلك أن يبلغ قولهن إليها فيغريها بعرضها، عليهن فيرين جماله لأنهن أحببن أن يرينه. وقيل: لأنهن قلنه خفية فأشبه المكر، ويجوز أن يكون أطلق على قولهن اسم المكر لأنهن قلنه في صورة الإنكار وهن يضمرن حسدها على اقتناء مثله، إذ يجوز أن يكون الشغف بالعبد في عادتهم غير منكر".[3]

نستنتج أن ابن عاشور لم يبين الكثير من مسائل الفقهية من خلال قصة يوسف الصديق عليه السلام.

---

[1]. التحرير والتنوير ، ابن عاشور ج 12 ص 257.

[2] المرجع نفسه ج 12 ص 258.

[3]. المرجع نفسه ج 12ص 262.

4 . تفسير رؤيا الملك ونجاة يوسف عليه السلام.

قَالَ تعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف: 50-57]قال ابن عاشور في تفسيره هذه الآية "وقد أبى يوسف عليه السلام الخروج من السجن قبل أن تثبت براءته مما رمي به في بيت العزيز، لأن ذلك قد بلغ الملك لا محالة لئلا يكون تبريزه في التعبير الموجب لإطلاقه من السجن كالشفيع فيه فيبقى حديث قرفه بما قرف به فاشيا في الناس فيتسلق به الحاسدون إلى انتقاص شأنه عند الملك يوما ما، فإن تبرئة العرض من التهم الباطلة مقصد شرعي، وليكون حضوره لدى الملك مرموقا بعين لا تنظر إليه بشائبة نقص".[1]

المطلب الثالث: مسلكه في استنباط فوائد من قصة الصديق عليه السلام .

من خلال كلام ابن عاشور في تحليله للقصة تجده يذكر فوائد عجيبة وعظيمة، وربما كانت عزيزة، لذلك نود في هذا المطلب ذكر بعض الفوائد التي أوردها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور . رحمه الله . فيما يتعلق في هذه القصة ولم تذكر قصة نبيء في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف الصديق عليه السلام.

1. عربية القرآن ومنزلة القصص القرآني:

قَالَ تعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: 2-3]. قال بن عاشور

[1]. المرجع السابق ج 12ص 258.

"وكونه عربيا يفيد إبانة ألفاظه المعاني المقصودة للذين خوطبوا به ابتداء، وهم العرب، إذ لم يكونوا يتبينون شيئا من الأمم التي حولهم لأن كتبهم كانت باللغات غير العربية".[1]

كما نوضح كلام الشيخ ابن عاشور من هذه الفائدة أن القرآن الكريم كتاب مبين أوضح الحلال والحرام، والحدود والأحكام، والشرائع والأخلاق، ليكون هدى للعالمين، وبركة وخيرا للناس أجمعين، فهو معجزة بيّنةﷺالقرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين، يقرأ بلغة العرب فكان معشر العرب أولى الناس بالإيمان به، وفهم ما فيه وتعلم معانيه القرآن بيان جلي متضمن أحسن القصص، وأثبت الأخبار، وأجدى الآثار وتواريخ الأمم الماضية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: 3]

قال ابن عاشور "وجعل هذا القصص أحسن القصص لأن بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس، وقصص القرآن أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه وبما يتضمنه من العبر والحكم... فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن. وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصة يوسف عليه السلام أحسن من بقية قصص القرآن.[2]"

نفهم ما بينه العلامة ابن عاشور من هذه الفائدة بأن سورة يوسف إنها أحسن القصص وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها وأسلوب بليغ وبديع ورونق معانيها وما اشتملت عليه عدة بشائر في بلاغتها وتأثيرها في النفس وحسن موضوعها لأخذ العبرة والعظة منها .

2 . رؤيا يوسف عليه السلام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَآ عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف: 4-6].

---

[1]. التحرير والتنوير ، ابن عاشور ج 12 ص 201.

[2]. المرجع نفسه ج 12 ص 205.

قال الشيخ ابن عاشور: "وكان يوسف أحب أبناء يعقوب عليهما السلام إليه وكان فرط محبة أبيه إياه سبب غيرة إخوته منه فكادوا له مكيدة فسألوا أباهم أن يتركه يخرج معهم، فأخرجوه معهم بعلة اللعب والتفسح، وألقوه في جب وأخبروا أباهم أنهم فقدوه وأنهم وجدوا قميصه ملوثا بالدم، وأروه قميصه بعد أن لطخوه بدم، والتقطه من البئر سيارة من العرب، في طريقهم إلى مصر، وباعوه كرقيق في سوق عاصمة مصر ثم إن ذلك الارتقاء النفساني الذي هو من الواردات الإلهية غايته أن يبلغ بصاحبه إلى النبوءة أو الحكمة فلذلك علم يعقوب أن الله سيعلم يوسف عليه السلام من تأويل الأحاديث، لأن مسبب الشيء مسبب عن سبب ذلك الشيء، فتعليم التأويل ناشئ عن، ولأن اهتمام يوسف عليه السلام برؤياه وعرضها على أبيه دل أباه على أن الله أودع في نفس يوسف عليه السلام الاعتناء بتأويل الرؤيا وتعبيرها، وهذه آية عبرة بحال يعقوب عليه السلام مع ابنه إذ أشعره بما توسمه من عناية الله به ليزداد إقبالا على الكمال" .[1]

نستنتج من هذه الفائدة تعبير رؤيا الصالحة وأنها من أصول المهمة التعبير من التي يهبها الله لمن يشاء من عبادة .

3. تأمر إخوة يوسف عليه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: 7- 10]

قال ابن عاشور "وقد علم يعقوب عليه السلام أن إخوة يوسف عليه السلام العشرة كانوا يغارون منه لفرط فضله عليهم خلقا وخلقا، وعلم أنهم يعبرون الرؤيا إجمالا وتفصيلا، وعلم أن تلك الرؤيا تؤذن برفعة ينالها يوسف عليه السلام على إخوته الذين هم أحد عشر فخشي إن قصها عليه السلام عليهم أن تشتد بهم الغيرة إلى حد الحسد وأن يعبروها على وجهها فينشأ فيهم شر الحاسد إذا حسد، فيكيدوا له كيدا ليسلموا من تفوقه عليهم وفضله فيهم".[2]

---

[1] ـ التحرير والتنوير،ابن عاشور ج 12ص 215. 216.

[2] ـ المرجع نفسه ج 12 ص 313.

نستنتج ما قاله الشيخ ابن عاشور هذه الآيات وكان جماله الرائع سبب محنته وهي التنبيه على عاقبة البغي والحسد وفضيلة ضبط النفس. [1] والتصديق بتعبير الرؤيا وصحة تأويلها، لقد دفع التباغض والتحاسد والغيرة إخوة يوسف على تدبير مؤامرة لقتله أو إلقائه في بادية بعيدة عن الناس حتى يهلك فتآمروا على كثرة الغيرة الشديدة من عاطفة أبيهم نحو يوسف وأخيه.

4 . يوسف مع امرأة العزيز ونجاة يوسف وإكرامه في بيت العزيز.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يوسف: 23-29]

قال ابن عاشور " عطف قصة على قصة، فلا يلزم أن تكون هذه القصة حاصلة في الوجود بعد التي قبلها. وقد كان هذا الحادث قبل إيتائه النبوءة لأن إيتاء النبوءة غلب أن يكون في سن الأربعين. والأظهر أنه أوتي النبوءة والرسالة بعد دخول أهله إلى مصر وبعد وفاة أبيه. وقد تعرضت الآيات لتقرير ثبات يوسف عليه السلام على العفاف والوفاء وكرم الخلق". [2]

نوضح كلام الشيخ بن عاشور من الآيات بيان محنة يوسف وإظهار براءته واتهام زوجة العزيز.

5_شيوع الخبر في المدينة وما ترتب عليه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف: 30].

---

[1] - ينظر: تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ط 1، 1365 هـ - 1946 م ، ج 12 ص 106.

[2] . التحرير والتنوير ، ابن عاشور ج 12ص 249.

قال ابن عاشور "في المدينة صفة لنسوة والمقصود من ذكر هذه الصفة أنهن كن متفرقات في ديار من المدينة وهذه المدينة هي قاعدة مصر السفلى هي مدينة (منفيس) حيث كان قصر العزيز، فنقل الخبر في بيوت المتصلين ببيت العزيز، وقيل إن امرأة العزيز باحت بالسر لبعض خلائلها فأفشينه كأنها أرادت التشاور معهن أو أرادت الارتياح."

نستنتج من كلام ابن عاشور إن خبر السوء سرعان ما يشيع في أنحاء المجتمع، ويذيع صيتهّ إذا كان وراه النسوة فصدق المولى حين وصف بأن كيدهن عظيم وصف كيد الشيطان بأنه الضعيف وهو يستوجب الحذر من مكر النساء فالمرأة إذا أحبت عبدت وإذا كرهت قتلك وينبغي للعبد أن يلتجأ إلى الله ويحتمي بحماء عند وجود أسباب المعصية ويتبرأ من حوله وقوته .

6. محنة يوسف عليه السلام في السجن .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: 33-34].

قال ابن عاشور "فالإخبار بأن السجن أحب إليه من الاستمتاع بالمرأة مستعمل في إنشاء الرضى بالسجن في مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه، إذ لا فائدة في إخبار من يعلم ما في نفسه فاسم التفضيل على حقيقته ولا داعي إلى تأويله بمسلوب المفاضل، وعبر عما عرضته المرأة بالموصلية لما في الصلة من الإيماء إلى كون المطلوب حالة هي مظنة الطواعية، لأن تمايل الناس على طلب الشيء من شأنه أن يوطن نفس المطلوب للفعل، فأظهر أن تمايلهن على طلبهن منه امتثال أمر المرأة لم يفل من صارم عزمه على الممانعة، وجعل ذلك تمهيدا لسؤال العصمة من الوقوع في شرك كيدهن، فانتقل من ذكر الرضى بوعيدها إلى سؤال العصمة من كيدها".[1]

نستخلص من كلام الشيخ ابن عاشور " سبب جماله حصلت له تلك المحنة السجن وسبب علمه حصل له عز ورفعة والتمكين في الأرض فكل خير في الدنيا والآخر آثار العلم وموجباته .

7. استلام الحكم بعد الحكم بعد الخروج السجن .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا

[1]. المرجع السابق ج 12 ص 265.

عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يوسف: 50-52]

قال ابن عاشور "وجعل طريق تقرير براءته مفتتحة بالسؤال عن الخبر لإعادة ذكره من أوله، فمعنى فسئله بلغ إليه سؤالا من قبلي. وهذه حكمة عظيمة تحق بأن يؤتسى بها وهي تطلب المسجون باطلا أن يبقى في السجن حتى تتبين براءته من السبب الذي سجن لأجله وهي راجعة إلى التحلي بالصبر حتى يظهر النصر. والسؤال: مستعمل في التنبيه دون طلب الفهم، لأن السائل عالم بالأمر المسئول عنه وإنما يريد السائل حث المسئول عن علم الخبر. وقريب منه قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النبأ: 1] .

وجعل السؤال عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز تسهيلا للكشف عن أمرها، لأن ذكرها مع مكانة زوجها من الملك ربما يصرف الملك عن الكشف رعيا للعزيز، ولأن حديث المتكأ شاع بين الناس، وأصبحت قضية يوسف عليه السلام مشهورة بذلك اليوم، كما تقدم عند ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يوسف: 35] ولأن النسوة كن شواهد على إقرار امرأة العزيز بأنها راودت يوسف عليه السلام فلا جرم كان طلب الكشف عن أولئك النسوة منتهى الحكمة في البحث وغاية الإيجاز في الخطاب."[1]

نستنتج من كلام ابن عاشور: إنّ الحوار وسيلة التّعارف والتّعرف على فضائل الإنسان ومعارفه وبه يزن العاقل مقادير الرّجال إن المقوّمات العالية من علم وخلق وأدب وحسن تصرّف تبوئ صاحبها المنزلة السّامية والمكانة الرّفيعة.

8. لقاء يوسف عليه السلام مع إخوته .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [يوسف: 58-61].

[1]. المرجع السابق ج 12 ص289.

قال ابن عاشور " نادوا بوصف العزيز إما لأن كل رئيس ولاية مهمة يدعى بما يرادف العزيز فيكون يوسف عليه السلام عزيزا كما أن رئيس الشرطة يدعى العزيز كما تقدم في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٣٠ ﴾ [يوسف: 30]وإما لأن يوسف ضمت إليه ولاية العزيز الذي اشتراه فجمع التصرفات وراجعوه في أخذ أخيهم وصفوا أباهم بثلاث صفات تقتضي الترقيق عليه، وهي: حنان الأبوة، وصفة الشيخوخة واستحقاقه جبر خاطره لأنه كبير قومه أو لأنه انتهى في الكبر إلى أقصاه فالأوصاف مسوقة للحث على سراح الابن لا لأصل الفائدة لأنهم قد كانوا أخبروا يوسف عليه السلام خبر أبيهم. والمراد بالكبير: إما كبير عشيرته فإساءته تسوءهم جميعا ومن عادة الولاة استجلاب القبائل، وإما أن يكون كبيرا تأكيدا لشيخا أي بلغ الغاية في الكبر من السن، ولذلك فرعوا على ذلك فخذ أحدنا مكانه، إذ كان هو أصغر الإخوة، والأصغر أقرب إلى رقة الأب عليه". [1]

قد لا يعرف الأخ أخاه بسبب طول العهد والمدّة لا سيما إذا تبدل حال الأخ من أدنى درجات الحال إلى أعلاها مما يبعد عن التّصور في الذّهن احتمال معرفته[2]، السّبب الذي لأجله أمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم هو ترغيبهم في العود إليه والحرص على معاملته حينما يعلمون أن بضاعتهم ردت إليهم كرما من يوسف وسخاء محضا.

9. من قصة يوسف إخبار يعقوب بريح يوسف وتأييده ببشارة البشير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨ ﴾ [يوسف: 94-98]قال ابن عاشور: "وجدان يعقوب ريح يوسف عليهما السلام إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له إذ ذكره بشمه

---

[1]. المرجع السابق، ج 13ص 57 .

[2] - ينظر :تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ،تحق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ،ط1 1420هـ -2000 م ، ص 393.

الريح الذي ضمخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته وهذا من صنف الوحي بدون كلام ملك مرسل".[1]

نستنتج من كلا ابن عاشور: يمتاز الأنبياء عن غيرهم بأن الله تعالى يظهر على أيديهم معجزات خارقة للعادة،، وهذا هو الذي مكّن يعقوب من الإخبار برائحة يوسف وقميصه قبل وصول أولاده إليه حاملين البشارة بلقائهم الحارّ مع أخيهم يوسف عليه السلام.

10 . قصة يوسف لقاء أسرة يعقوب عليه السلام في مصر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: 99-100]

قال بن عاشور: طوى ذكر سفرهم من بلادهم إلى دخولهم على عليه السلام إذ ليس فيه من العبر شيء.[2]

نستنتج من كلام بن عاشور إن العاطفة بين الولد وأبويه طبيعية فطرية لذا كان إكرام يوسف عليه السلام لأبويه أشدّ من إكرام إخوته، فعانقهما وضمّهما إليه، وأجلسهما على سرير الملك معه، واكتفى بأن قال لجميع الأسرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يوسف: 99].

أن ابن عاشور ذكره بعض من فوائد في سورة يوسف عليه السلام وأنها تتابعت الأحداث وفي كل فصل منها نصب وعذاب ومحنة والشقاء .

---

[1]. التحرير والتنوير ، ابن عاشور ج 13 ص 54.

[2]. المرجع نفسه ج 13 ص 54.

الخاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، وبنعمته تتم البركات، الحمد لله الذي أتم علي نعمته ويسر لي الإنجاز هذه الرسالة العلمية ولقد عايشت طيلة إنجازها في التعامل مع أحد التفاسير المعاصرة الغنية بالفائدة، ألا هو" تفسير التحرير والتنوير " لفضيلة الإمام العلامة محمد الطاهر ابن عاشور فالله الحمد والمنة في الأولى والأخرة .

في ختام بحثي هذا يطيب لي أن أشير إلى أهم **النتائج** :

1. من خلال ترجمتي للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور – رحمه الله –. تبنت لي مكانة هذه الشخصية العلمية، وبروزه أمام أقرانه في القرن الماضي من خلال كتاباته التي انتشرت في المغرب الإسلامي عامة والمشرق خاصة .

2 . بروز الشخصية في أبرز الميادين فهو لم يكن مقلّداً لكلام من قبله بل كان يتعامل معها بنظر حاد وتمحيص دقيق، وكان يتحرى الصواب منها دون أن يتعصب لأي لمذهب.

3. تميز تفسيره بالتحرير والتدقيق العلمي الذي تفتقر إليها كثير من مؤلفات العصر .

4. اعتنى بالقصة القرآنية اعتناء فائقا بالشرح والتحليل، واعترض عن ذكر الإسرائيليات في قصة الصديق وذلك لعفته وطهره عليه السلام.

5. استنباطه لبعض الأحكام الفقهية من القصص القرآني وهذه الميزة التي انفرد بها بن عاشور عن كثير من المفسرين فهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على زاده الفياض في الفقه والأحكام .

أهم **التوصيات** المقترحة من خلال دراستي للقصة القرآنية من كتاب التحرير والتنوير استوقفتني بعض المسائل التي أراها جديرة في البحث .

1. الأحكام المستنبطة من القصص من كتاب التحرير والتنوير وترجيحات ابن عاشور في ذلك.

2 . مسلك ابن عاشور في النقل من الكتب المحرفة.

الفهـــارس

1. فهرس الآيات القرآنيــة.
2. فهـــرس الأحاديث والآثـــار.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضـــوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ﴾	البقرة	30	59
﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ		35	34
﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾	آل عمران	44	25
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾		146	41-40
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾	الأنعام	75	43
﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾		19	33
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم﴾		59	26
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	الأعراف	65	26
﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ ﴾		111	39
﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾		176	44
﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْ ﴾		198	58
﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾	التوبة	82	64

﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ ﴾	هود	49	46-39
﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾		120	35-27
﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾		01	57-28
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾		02	57-56
﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾		03	-57-52-23 68
﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا ﴾ ..... ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾	يوسف	6-4	58
﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾..... ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾		10-7	60-49-59
﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾		11	28
﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ ﴾		31	66
﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ ﴾		15	60
﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ ..... ﴿ وَمَآ أَنتَ		17-16	46

بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾			
﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴾	يوسف	29-23	66
﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾		30	64
﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ ﴾		31	60
﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ ..... ﴾ ﴿ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾		34-33	71
﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ ﴾		35	72
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ ﴾ .....﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾		57-50	57-67
﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ ﴾ .... ﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾		61-58	72
﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾		76	47
﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾	يوسف	79	49
﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ		98-94	73

يُوسُفَ ﴾..... ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾			
﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾.... ﴿ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾	-99 100		74
﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾	100		37
﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	111		56-44-34
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾	2		55
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	11	الرعد	47
﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾	45	ابراهيم	46
﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	13		35
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾	50-49	الحجر	27
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ﴾	36		26
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾	75	النحل	42
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾	103		34-57

لِّسَانُ ﴾			
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾	112		42
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾	09	الإسراء	44
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾	09		41
﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾	13		41
﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ ﴾	19	الكهف	41
﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾	64		22
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾	05	طه	09
﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾	87	الأنبياء	44
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ﴾	105		
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ ﴾	46	الحج	45
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	55	النور	47
﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ	05		33

﴿ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾			
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾.... ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾	الفرقان	36-35	53
﴿ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾	الشعراء	36	49
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ ﴿١٨﴾ ﴾	النمل	18	58
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ ﴿٥٢﴾ ﴾		52	43
﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.....﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	القصص	46-44	25
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ ﴾.....﴿ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾	العنكبوت	49-48	39
﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾	الروم	09	45
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾	الزمر	29	42
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ	غافر	82	45

﴿عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾			
﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾	85		35
﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ ١٥﴾	15	فصلت	46
﴿۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾	10	محمد	45
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾	08	المنافقون	47
﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١﴾	01	النبأ	72

طرف الحديث أو الأثر	راوي الحديث	الصفحة
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة...	خبات رضي الله عنه	41
اعلموا أرقاءكم سورة يوسف، فإنه أيما مسلم تلاها أو علمها...	أبي كعب رضي الله عنه	54

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم المترجم له	الصفحة
أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر	11
أحمد جمال الدين: _ الفقيه _ ولد بيني خيار، وتلقى العلم بجامع الزيتونة	10
سالم بن عمر بوحاجب البتلي. ولد عام [1244هـ] بنبلة من قرى الساحل الشمالي	10
صالح محمد الشريف ولد عام 1285 هـ، وأصل أسرته من بجاية في الجزائر	10
عمر بن الشيخ: هو عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن قاسم المعروف بابن الشيخ	10
محمد الخياري المقرئ: هو أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار، ولد عام 1247 هـ،	11
محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور ، أديب وخطيب ، مشارك في علوم القرآن	12
محمد النخلي: هو من أعلام الزيتونة ولد سنه [1286هـ. 1869م]	11

القرآن الكريم:

أولا: الكتب

1. آثار الإمام الإبراهيمي، جمع وقديم نحله _دار الغرب الإسلامي _ ط 1سنة 1997.
2. أسباب النزول المسمى لباب النفول في أسباب النزول، جلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي، مؤسسه الكتب الثقافية، ط 1 سنة 1422هـ. 2002م.
3. أسماء السور وفضائلها، دكتوره منيره محمد ناصر الدوسري. دار النشر ابن الجوزي. ط 1سنه 1462هـ .
4. أصول في التفسير، محمد الصالح العثيمين، دار ابن الجوزي، 2008
5. الأعلام للزركلي، دار العلم للملاين. بيروت. لبنان ط 5 أيار 1980م.
6. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، عبد الله محمود شحاتة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976.
7. البشر في نقد المقدمات العشر، عثمان بن منصور الشركة التونسية لفنون الرسم.
8. البيان القصصي، إبراهيم عوضين، دار الأصالة الرياض ط2، سنه 1990.
9. البيان في عد آي القرآن، أبو عمر عثمان بن سعيد الداني،تحق : غانم قدوري الحمد، دار المخطوطات والتراث. الكويت ط 1سنه 1414هـ. 1994م.
10. تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، محمد الهادي الشريف ، دار سراس للنشر ، تونس 1993م ، ط 3.
11. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس سنة [1997].
12. تراجم الأعلام، الفاضل بن عاشور، للنشر ، دار تونس.
13. تراجم المؤلفين التونسين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1884،ط1.
14. التصوير الفني، سيد قطب دار الشروق ط 17، سنة 1423هـ. 2002م.
15. تفسير القرآن العظيم، بن كثير ، تحق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة ، ط1، سنة 1418هـ.1997م، ج 4.

16. التفسير الكبير، الفخر الدين الرازي، دار الفكر سنه 1401.1988. ط1 2000م.
17. تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ط 1، 1365 هـ - 1946 م
18. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط 1سنة 1430هـ 2009م.
19. تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
20. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ،تحق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ،ط1 1420هـ -2000 م.
21. جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير الطبري تحق :أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ،ط 1 ،1420 هـ - 2000 م ج 15 ص 565.
22. سلسلة القصص القرآني سورة يوسف دراسة تحليله ،د أحمد نوفل دار الفرقان عمان . الأردن ط 1409هـ . 1989م.
23. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تحق : عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ،ط 1 ،1424هـ _ 2003م.
24. شرح شعر المتنبي ،إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري من بني سعد بن أبي وقاص أبو القاسم ابن الإفليلي تحق: الدكتور مصطفى عليا ،مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط1 ، 1412 هـ - 1992 م .
25. شرح مقدمات التحرير والتنوير، مساعد الطيار، دروس الصوتية . درس رقم 14.
26. شيخ الإسلام، الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب . تونس 2008.
27. صحيح البخاري، محمد إسماعيل، كتاب فضائل الصحابة، باب من لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصاحبه والمشركين بمكة، دار ابن كثير، اليمامة بيروت تحق:د مصطفى ديب البغاء ط 3، 1407هـ .

28. في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة . بيروت، ط 17، سنة 1412.لسان العرب، ابن منظور، دار صادره_ بيروت _ط3سنة 1414.

29. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسه الرسالة، بإشراف نعيم العرقسوسي، ط 8، 2005م.

30. القصص القرآني إيحاءه ونفحاته، فضل عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن ط1، 1987.

31. القصص القرآني في القرآن الكريم ، محمد محمود الحجازي ، مكبة دار التفسير ، مصر ، ط 1 2003م ، نقلا عن اتجاهات التفسير ومناهجه في القصص القرآني للدقور.

32. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت . لبنان . ط2سنة 1975م.

33. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحق: عدنان درويش . محمد المصري . مؤسسة الرسالة . بيروت . 1998م ص 1168.

34. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان دار الناشر وهبة ط 7.

35. محاسن التأويل، محمد جمال الدين للقسامي، تحق، محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ط 1.سنة 1957.

36. محمد الطاهر بن عاشور علامه الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع ،دار القلم . دمشق،ط1 . 1426هـ . 2005.

37. مدخل لتفسير التحرير والتنوير، محمد بن إبراهيم الحمدwww toi slam net.

38. مع قصص السابقين في القرآن الكريم الدكتور صلاح الدين الخالدي، دار القلم دمشق ط 5 .1427هـ . 2008م.

39. معالم القصة القرن الكريم محمود العدوي ، دار العدوي ، عمان الأردن ، ط 1، 1988م.

40. المفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني . تحق سيد كيلاني دار المعرفة . بيروت . لبنان

41. من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بلقاسم الغالي، دار بن حزم، بيروت، لبنان، سنة 1417هـ . 1996م، ط1.

42. مناهج المفسرين، الدكتور منبع عبد الحليم محمود دار الكتاب المصري . القاهرة . دار الكتاب اللبناني _بيروت _ ط 2000م.

43. منهج الإمام بن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير "للدكتور نبيل أحمد صقر، الديار المصرية للنشر والتوزيع، ط 1 [1422هـ_ 2001 م].

ثانيا: الرسائل الجامعية :

1. اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني لسليمان محمد علي الدقور، أطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن نوقشت سنة 1426 هـ _ 2005م بجامعة البرموك.

2. أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير "مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، رسالة دكتوراه.

3. الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير ، لمحمد بن سعد بن محمد القرني .

4. التنظير المقاصدي عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة، إعداد الطالب محمد حسين، اشراف عمار سياسي، رسالة دكتورا بجامعة الجزائر.

5. مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، إعداد شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، رسالة دكتوراه، نوقشت بجامعه أم القرى سنة [1424 _ 1425].

ثالثا: المجلات :

1. مجلة المنهل عدد 449 الربيعان 1407 هـ.

2. مجلة الهداية الإسلامية عدد شوال 1351.

3. مجله الوعي الإسلامية عدد 27 أبريل 1986م السنة الحادية عشر.

فهرس الموضوعات

العنـــــــوان	الصفحة
إهداء	–
شكر وتقدير	–
ملخص البحث باللغتين العربية والإنجليزية	–
مقدمة	أ
الفصل الأول : التعريف بالشيخ الطاهر ابن عاشور وكتابه التحرير والتنوير والتعريف القصة القرآنية	
المبحث الأول: عصر الإمام الطاهر بن عاشور .	
. المطلب الأول : عصر الإمام محمد الطاهر ابن عاشور	06
الفرع الأول: الحالة السياسية .	06
الفرع الثاني : الحالة الاجتماعية	06
الفرع الثالث: الحالة الفكرية	07
المطلب الثاني: الحياة الشخصية الإمام محمد الطاهر ابن عاشور	08
الفرع الأول : نسبته ومولده	08
الفرع الثاني : أسرته ونشأته	08
الفرع الثالث: عقيدته ومذهبه	09
الفرع الرابع : وفاته	10
المطلب الثالث: الحياة العلمية للإمام محمد الطاهر ابن عاشور	10
الفرع الأول: شيوخه وتلاميذه	10
الفرع الثاني: مؤلفاته	13
الفرع الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه	14
المبحث الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.	
.المطلب الأول: وصف الكتاب	16

.الفرع الأول : دواعي التأليف ومدة التأليف	16
المطلب الثاني: منهجه ومصادره في تفسير	18
الفرع الأول :منهجه في تفسير	18
الفرع الثاني: مصادره في التفسير	19
الفرع الثالث: القيمة العلمية للتفسير	21
المبحث الثالث: ماهية القصة.	
المطلب الأول: تعريف القصة القرآنية لغة واصطلاحا .	22
الفرع الأول: لغة	22
الفرع الثاني: تعريف القصة اصطلاحا	23
المطلب الثاني: أنواع القصص القرآني	24
المطلب الثالث: أغراض القصص القرآني.	25
المطلب الرابع: خصائص القصة القرآنية.	28
الفصل الثاني: مسلك الشيخ ابن عاشور رحمه الله في قصة يوسف الصديق عليه السلام	
المبحث الأول: مباحث القصة القرآنية عند الطاهر ابن عاشور.	
.المطلب الأول: غرض القصة القرآنية ومميزاتها عند ابن عاشور	33
المطلب الثاني: فوائد القصص القرآني عند ابن عاشور:	38
المطلب الثالث: أغراض تكرار القصة القرآنية عند ابن عاشور.	49
المبحث الثاني: تعريف سورة سيدنا يوسف	
.المطلب الأول: أسماء سوره وعدد آياتها	53
الفرع الأول: أسماء السورة	53
الفرع الثاني: بيان مكيها ومدنيها وعدد آياتها.	53
المطلب الثاني: سبب النزول السورة	54

المطلب الثالث: فضل السورة	54
المطلب الرابع: مناسبة سورة.	54
الفرع الأول: مناسبة لما قبلها.	54
الفرع الثاني: مناسبة لما بعدها.	54
المطلب الخامس: محور سورة	55
المبحث الثالث: مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في عرض القصة.	
المطلب الأول: مسلك الشيخ الطاهر ابن عاشور في تعامله مع القصة من الناحية اللغوية	56
المطلب الثاني: مسلكه في ذكر الأحكام الفقهية وترجيحاته في ذلك .	62
المطلب الثالث: مسلكه في استنباط فوائد من قصة الصديق عليه السلام .	67
خاتمة	76
فهارس	
فهرس الآيات القرآنية	78
فهرس الأحاديث والآثار	85
فهرس الأعلام المترجم لهم	86
فهرس المصادر المراجع	87
فهرس الموضوعات	91